أيوب
وعهد بنى الهامس
الجزء الثانى
أحمد عصام أبوفايد
حلقات قصصية

أيـــوب ...

وعهد بنى الهامس

(الجزء الثانى)

أحمد عصام أبوقايد

مقـــدمة

كان يُقال إن العهد لا يُخطئ...وأن من يحمله يُدفَع نحوه دفعًا، لا يختاره ولا يهرب منه !

لكن أيوب فعل ما لم يفعله أحد قبله، فتح بابًا لم يكن مهيّأً لفتحه وسلك طريقًا لم يُكتب له بعد.

منذ تلك الليلة، لم يعد العالم عالمًا واحدًا.

فالظلال التي عبرت جدار غرفته لم تعُد لعالمها ،والنَفَس الذي خرج من العلامة السوداء لم يكن مجرّد صدى ، بل كان بداية عهدٍ آخر مظلم ، كان ينتظر أي خطأ ليولد !

أخفق أيوب... لكن عالم بنى الهامس لم يعطه فرصة للندم !

فقد وجد نفسه بين عهدين يتصارعان : عهد أصيل كان مقدّرًا له بصفته نسل الوسيط.

وعهد مظلم التهم الطريق قبل أن يكتمل النور!

وبين هذين الطريقين، وقف حُرّاس بني الهامس ، مالك بصرامته، ساهر بحكمته، ظافر بحدّته، ونجم بسرعة ظله.

لم يعودوا يحمون العهد من أجله فقط ، بل ليحموا أنفسهم مما قد بعث بسبب اختياره الخاطئ.

فالخطيئة التي بدأت بلمسة رمز،تحولت الآن إلى حربٍ بين عالمين...

عالم يريد استعادة العهد إلى يد وريثه الحقيقي، وعالم آخر وجد ثغرة ويريد أن يفتح منها كل الأبواب.

والسؤال الذي سيجيب عنه هذا الجزء:

هل سيعود أيوب إلى العهد الذي كُتب باسمه؟ ، أم سيبتلعه العهد الذي بعثه بخطئه...

ويصبح الحامل الذي يخشاه الجميع؟

هنا تبدأ القصة من جديد...

لكن ليس من حيث انتهت ، بل من حيث انقلب كل شيء !

إهداء

إلى روح أمي الغالية، كم تمنيت أن تعيشي معي تلك الأوقات المفرحة لتفرحي معي وتعينيني على الأوقات الحزينة لأرتمي في أحضانك وأنسى همومي، رحمك الله وأسكنك فسيح جناته يا قلبي الذي فارقني.

إلى أبي، ظهري وسندي، مثلي الأعلى ومعلمي الأول الذي جعلني أحب اللغة العربية وعلمني النحو والبلاغة والفصحى وإلقاء الشعر والقراءة، أدامك الله لنا عزًا وسندًا وبارك لنا في عمرك وصحتك.

إلى خالي وخالتي، آخر من تبقى لي من عبق عطر أمي، بارك الله لي في أعماركما وصحتكما ودمتما في حياتي نورًا.

إلى زوجتي وحبيبتي وابنتي وقرة عيني التي رزقني بها الله وكانت ولا زالت سندًا وعزًا لي في حياتي، بارك الله لي فيك يا غاليتي وبارك الله لنا في أولادنا (آدم – سحر – تاليا – سيف).

الى أعضاء مجموعة قلم الرعب في فيس بوك والذين كانوا هم الداعم الدائم ونواة البداية في مسيرتى .

إلى كل قارئ قرأ لي حرفًا، أهديك كتابي لأنك لا تعلم مدى سعادتي بتحقيقك حلمي في أن يقرأ أحد ما في يوم ما كتاباتي.

أحمد عصام أبوقايد

الحلقة الأولى – استيقاظ الناقص

لم يكن صباحًا عاديًّا...

ولا ليلًا كأيّ ليل مرّ من قبل.

كانت القرية ساكنة بسكونٍ غامض،هو ليس سكون الفجر...

ولا سكون ما بعد العواصف...

بل سكون يشبه ما يحدث قبل أن تُفتح بوابة لا ينبغي أن تُفتح.

وفي بيت أيوب...

كان جسده مُلقًى على الفراش كأنه حجر بُتِر من جبل.

صدره يرتفع وينخفض ببطء شديد!

وكأن أنفاسه لا تأتي من الهواء...

بل تأتي من مكان آخر.

مرّ يومٌ كامل منذ سقوطه...

ويوم آخر بعده.

وحين فَتَح عينيه أخيرًا...

لم يكن الوعي رحمة كما يقولون !

فما أن فتح عينيه ، شعر كأنه غريق خرج لتوه من قاع نهر مظلم !

أول ما شعر به...كان وخزًا داخل صدره !

ليس وخزًا في الجلد ولا في القلب...

بل تحت الجلد... حيث توجد العلامة.

مدّ يده يتحسس صدره...

فشعر بشيء يتحرّك تحت الجلد...

يتلوّى...ثم يهدأ !

ثم ينبض نبضة واحدة كالصاعقة الكهربائية جعلت جسده يقفز من الفراش !

(إيه دا...؟!... أنا إيه اللي بيحصلى دا...؟!) – قالها أيوب لنفسه

وقبل أن يلتقط أنفاسه...

تبدّل الهواء أمامه... وتشققت الظلال في زاوية الغرفة !

ثم ...

تجسد مالك ...ولأول مرة منذ عرفه كان وجهه غاضبًا !

غاضبًا حقًا...

فقال مالك بصوت ثقيل:

(لقد فعلتَ ما لا يجب فعله يا أيوب.)

فظهر خلفه ساهر...

وجهه كالمرآة المتجمدة، عيناه ثابتتان بشدة غير معتادة!

ثم ظافر...

بضخامته ، التي تشبه جبلا من الظلال.

وعلى وجهه ترتسم ملامح النفور...نفور لا يخفيه!

وأخيرًا نجم...

بعيناه الزرقاوان تتقدان المكان بحدة وحذر.

أيوب تراجع للخلف وهو يتنفس الصعداء ، وأسند ظهره على الحائط وقال :

(كنتوا فين ... أنا حاسس أنى بموت ! ... ولا قادر أفتكر حاجة...)

تقدّم ساهر خطوة وقال بصوت رزين لا يحتمل النقاش وهو ينظر في عيون أيوب :

(لقد أيقظتَ العهد قبل أن يكتمل...وفتحتَ الشقّ قبل أوانه...فانحرف مجرى العهد.)

أيوب مذهول:

(يا سلام ؟!... وعملت دا كله إزاي؟!...أنا بس عملت اللي قلتولي عليه...

وماغلطتش غير مرّة واحدة بس!....وقت ماغيرت اتجاه الرمز!)

نظر إليه ظافر نظرة باردة وقال باختصار شديد:

(غلطة واحدة كانت كافية لخراب عالمين !)

نجم ضمّ يديه خلف ظهره وقال:

(دعنا مما مضى الأن ! ... الطامة الكبرى هي أن العهد الذي في داخلك ليس ارثك .)

جملة هبطت على صدر أيوب كصخرة !

فقال متعجبا يشعر بالرهبة :

(يعني إيه...؟ ... لو مش هو يبقى إيه اللي جوايا...؟)

تبادل الأربعة نظرة قصيرة...

ثم قال مالك بحزم :

(لقد اجتذبتَ عهدا مظلما...بدلا من ارثك.)

اتسعت عينا أيوب وقال :

(العهد... المظلم؟ ... يعني إيه ؟!)

اقترب منه مالك حتى أصبح أمامه مباشرة:

(طبقة أخرى من بَني الهامس...كانت تنتظر خطأ كهذا منذ قرون.

خطأ واحد...لتعبر !)

أيوب يتلعثم:

(بس... بس أنا ماكنتش أقصد...)

ردّ نجم بحدّة:

(القصد لا يغيّر الحقيقة.)

وفجأة...

حدث الشيء الذي لم يتوقعه أحد.

نبضت العلامة في صدر أيوب نبضة قوية...

حتى أنها أضاءت تحت الجلد بضوء أحمر باهت !

شهق ساهر وقال:

(ها هو يتحرك...!)

مالك تراجع نصف خطوة وهو يراقب العلامة باستياء:

(الاندماج ... بدأ !)

أيوب يتشنّج من الألم:

(اااااه! ...إيه دا؟!...أنا جسمي بيتقطع!)

اقترب نجم منه وقال :

(العهد المظلم يحاول تثبيت نفسه فيك...)

أيوب يصرخ:

(طب اعملوا حاجة!... ليه واقفين كدا؟!... ساعدوني!)

وفى تلك اللحظة...

حدث شيء غريب...

ظافر رفع يده كأنه يمنع أي أحد من الاقتراب وقال بصرامة:

(لن نتدخل.)

مالك قال بصوت منخفض:

(لن نتدخل...لأنه لا يمكننا التدخل في هذه المرحلة أبدا)

أيوب مذهول صارخ:

(يعني إنتو هتسيبوني خلاص؟!)

فقال ساهر بعينين فارغتين من العاطفة:

(الأمر الأن بيدك أنت ... إن نجوتَ...عدنا بك للطريق.

وإن لم تنجُ...أغلقنا الباب.)

نظر اليه أيوب مشدوها مما يقول ، أي أمر هذا الذى بيده ؟! ومما سينجو حتى يبدأوا في مساعدته بعدها ؟!

لكن وقبل أن يسأل ساهر ...

حدث للتو ما لن ينساه أيوب حتى موته.

كل الظلال حوله هبطت فجأة على الأرض...

تجمعت...

وتكوّنت منها هيئة طويلة...

أطول من مالك...

أطول من ظافر...

هيئة بلا ملامح...

وجه بلا عينين...

صدر مفتوح يتنفس دخانًا أسود!

وصوت جاء من الجدار كأنه صوت معدن يتحطم يقول :

(أعِد...إليَّ...عهدي.)

تجمّد الأربعة !

فهمس نجم قائلا :

(لقد ظهر!)

ساهر قال بتوتر:

(الحامل الأول!)

أما أيوب...فقد تهشّم قلبه من الخوف !

الحلقة الثانية – الحامل المظلم

الصوت الذي خرج من الظلال لم يكن صوتًا بشريًا...

ولا حتى صوتًا يشبه بني الهامس.

كان خليطًا بين صرير حديد يُسحب على أرض حجرية ،وأنين شيء يتنفس من مكان ضيّق!

أنين يحمل غضبًا عمره قرون!

تراجع أيوب للخلف ، يده على صدره ،والعلامة تتحرك تحت الجلد كأنها دودة نارية تبحث عن مخرج.

أيوب وهو يلهث:

(مين... دا؟ ... إنتو شايفين اللي أنا شايفه؟!)

تبادل مالك وساهر وظافر ونجم نظرة واحدة...

نظرة كان فيها رهبة حقيقية لم يرها أيوب في أعينهم من قبل.

ثم قال مالك بصوت بطيء موزون، كأن الكلام ثقيل على لسانه:

(هذا... حامل العهد الأول.)

أيوب يحدق في الظل مشدوها في رهبة...

ولسان عقله يندب خظه العاثر قائلا : عهد إيه؟ وحامل عهد أيه بس؟ أنا مابقيتش فاهم حاجة!)

فجأة...

الظلّ الطويل تحرك.

لا بخطوات كأى كائن طبيعى ...بل بانزلاق!

كأن لا تلمسا الأرض من الأساس !

امتدّ أمام أيوب...ثم تجمّد في مكانه وقال:

(أنتَ... سرقتَ...ما كان... لي.)

أيوب يصيح :

(أنا؟! ... أنا ماعملتش حاجة! ... أنا حتى ماكنتش فاهم اللي بيحصل!)

نجم قال بنبرة ثابتة هامسا لأيوب :

(لقد اجتذبتَ العهد المظلم بالخطأ، فانتقل من حامله الأصلي اليك.)

أيوب بصوت مبحوح:

(طيب... أنا كنت أعمل إيه؟ ... كنت متخيل بتحريكى للرمز هحل المعضلة)

ساهر تقدّم خطوة، وعيناه مثبتتان على الظلّ وقال لأيوب :

(الحامل الأول...انقطع عنه العهد في اللحظة ذاتها التي أخطأت فيها.)

أيوب اتسعت عيناه وقال:

(وبعدين؟... هو عايز منّي إيه دلوقتى ؟! ونصرفه أزاى؟!)

الظلّ رفع رأسه بحركة بطيئة تجعل الرقبة تتمدد مع كل سنتيمتر ثم قال:

(أعِدْ...ما سرقته منّي.)

أيوب وهو يصيح في غضب وتوتر:

(وأنا هرجعهولك ازاى ؟! ... أنا حتى مش فاهم اللي جوايا! ولا اخرجه منى ازاى ؟!)

وهنا...

انطلقت أول خطوة حقيقية للظلّ نحوه.

خطوة واحدة فقط...

لكنها هزّت الغرفة،وجعلت هواءها ينضغط.

ظافر مدّ ذراعه فورًا وأمسك كتف أيوب...دافعًا إياه للخلف.

وقال بصوت مرتفع لأول مرة:

(تراجع يا فتى!)

ظافر رفع صوته !

وهي لحظة يعرف أيوب جيدا أنها خطيرة بما يكفي.

لكن...

الظلّ لم يتوقف.

تمشَى...حتى صار على بُعد خطوة واحدة من ظافر.

رفع ظافر رأسه...

وصوت الهواء تغيّر.

وكأن المكان كله يحبس أنفاسه.

ظافر بنبرة تهديد ثقيلة للظل :

(ارجع.)

لكن الظلّ...مال برأسه قليلًا، وكأنه يتفحّص ظافر من أعلى لأسفل.

ثم قال بصوت كأنه يُسحب من قاع بئر:

(لستَ أنتَ...من يوقفني.)

وحدث ما لم يتوقعه أحد.

ظلّ الظلّ امتدّ فجأة ، كأنه ذراع طويلة من الدخان الأسود ودخل في صدر أيوب مباشرة.

أيوب صرخ صرخة لا تُشبه أي صرخة إنسان.

صرخة خرجت من الحنجرة والصدر والجلد والروح !

(اااااااااااه)

ثم سقط على ركبتيه، ويداه على صدره ، والعلامة تتحرك كأنها تحاول الهرب من شيء.

حينها وفى تلك اللحظة ...

تغير الهواء ، الضباب تكثف ، الأرض اهتزت.

ساهر صرخ:

(افصلوه!!)

فرفع مالك يده بسرعه ،وأطلق شعاع ضوء أبيض خفيف من راحة كفه...

لكن الظلّ امتص الضوء ، وكأنه لم يكن!

نجم صاح:

(لا فائدة! ... العهد المظلم... قد أندمج معه ويتعرّف عليه!)

أيوب يصيح بهيستيريا ويطرق على صدره بيديه:

(اخرج! ...اخرج براااااااااا!)

والظلّ يقول همسًا:

(لن أخرج...إلا ومعي ما سُرِق منى.)

فجأة...

انفصل الظلّ عن صدر أيوب !

وتراجع ببطء ...

ودخل في الجدار !

واختفى تمامًا !

ثم عاد الصمت.

لكن الصمت هذه المرة كان ثقيلًا...

كأنه ينتظر جملة واحدة فقط.

أيوب رفع رأسه...

والدموع على وجنتيه ويده ترتعش فوق العلامة التي تحترق في صدره.

بصوت متقطع قال:

(هو...هو كان...هيعمل إيه؟)

ردّ مالك بصوت لم يسمعه أيوب من قبل عليه ،هادئ... بارد... مرير:

(كان...يستعيد ما سُلب منه ، ولو استعاد العهد بهذه الطريقة...لن تبقى أنت.)

أيوب بصوت متحشرج:

(ليه...ليه أنا؟ ... ليه يكون محكوم عليا بالموت ؟ ...ليه دا يحصل لي...؟)

من بين الأربعة...

كان نجم الوحيد الذي أجابه بسرعه قائلا :

(لأنك... أخطأت... ولا داعى لتكرار نفس السؤال كل مرة ! ، الاجابة واحدة لن تتغير !)

ثم أضاف مالك بصوت أخف ، لكن أشد قسوة:

(ولأن الخطأ في عالمنا للأسف ... لا يُصلَّح إلا بثمن.)

أيوب يهمس في تعجب :

(ثمن ؟... ثمن إيه تانى أكتر من اللى بدفعه دلوقتى ؟)

ساهر قال ببطء، وكأنه ينطق طقوس لعنة قديمة:

(ثمن...إعادة العهد إلى مكانه وحامله الأول.)

أيوب شهق:

(يعني...هترجعوه للحامل الأول؟)

هزّ مالك رأسه:

(لا...لقد فسد.)

سكت لحظة...

ثم أنهى الجملة قائلا:

(ونحن... نحتاج حاملًا جديدًا.)

أيوب ابتلع ريقه بصعوبة وقال:

(وتقصد طبعا...إن الحامل ده... هيكون أنا ؟!)

مالك بهدوء :

(نعم.)

أيوب صاح في غضب :

(كفاية تجارب فيا بقى ! ... مش قولتلى هتتصرف وأعمل تجربة النوم وهنتخلص من الخلس وفى الأخر أتمكن منى ، ودلوقتى عاوزنى أكون الحامل الأول ؟!

هو فيه أيه أنت مش لسه قايل أن الخطأ انى سلبت العهد منه ؟!

أزاى بتطلب دلوقتى أكون الحامل الأول بدل ما سلمه العهد من تانى ؟!

أنا مش جاهز أكون حقل تجارب من تانى !!

وماكنتش عايز دا يحصل أصلا من البداية!

و ماطلبتش أكون حامل للعهد أساسًا!)

ساهر ببرود مستفز :

(لم نطلب رأيك.)

أيوب بتحد وغضب :

(طيب ولو رفضت؟!)

نجم بهدوء :

(لن ترفض لأن وبكل بساطة العهد اختارك بالفعل.)

اقترب ظافر منه وقال بصوت خافت ثقيل كالحجارة:

(إما أن تصبح الحامل...وإما يهلك عالمنا وعالمكم.)

أيوب لم يجد كلمة واحدة يرد بها.

وفجأة...

بدأ الضوء يختفي من الغرفة...

ويعود الضباب ليتحرك بشكل غير طبيعي.

سأل أيوب وهو يرجع للخلف في قلق:

(إيه اللي بيحصل؟!)

مالك قال:

(لقد عاد...)

فقال أيوب وهو ينظر حوله في أرجاء الغرفة بتوتر :

(مين اللي عاد؟!)

والأربعة قالوا معًا...

بصوت واحد...

(الحاملُ الأوَّل.)

الحلقة الثالثة – الشقّ يعود من جديد !

لم تمضِ لحظات على اختفاء الظلّ...

حتى بدأ شيء آخر يحدث في الغرفة.

شيء...

لم يكن له صوت، لكنه ورغم ذلك كان يُسمع !

جدار الغرفة... نفس ذلك الجدار الذى حمل العلامة طوال الأحداث السابقة بدأ يتنفس !

وكأن خلفه صدر ضخم يزفر زفرات بطيئة وثقيلة تهزّ روافد البيت من الداخل !

أيوب وقف على قدميه بسرعة، مقهور من الألم الذى كان لازال يشعر به، واضعا يده على صدره وهو يقول:

(في إيه؟! ... الجدار... بيتحرك!)

ساهر رفع يده وقال:

(اصمت....)

الجميع وقفوا...

والجو تجمّد.

حتى الرياح توقفت عن الحركة.

ثم...

ظهر الخط.

ذلك الخطّ الرفيع الأسود...الذى يشبه الندبه يمتد من منتصف العلامة ويشقّ الجدار نصفين كأن سكين غير مرئية قد فتحته !

أيوب:

(يا نهار أسود... دا الشَقّ رجع تانى؟!)

ظافر قال بصوت منخفض، مشدود كأنه يشد روحه مع كل كلمة:

(لقد بدأ... لقد بدأ ... ما كان يجب أن يبدأ.)

وقف مالك امام الشقّ بخطوات قليلة ، ورفع يده، وشعاع نور رفيع خرج من كفه...

لكن النور سحب بالكامل للداخل ، وكأنه وقع في حفرة بلا قاع !

أيوب صرخ:

(مالك! ...)

قاطعه مالك باشارة من يده و قال دون أن يلتفت اليه :

(لا عليك ... أنا فقط أختبر العلامة ...

العلامة لم تعد مجرد علامة ، لقد أصبحت ممرًا...بين العهدين.)

كاد أيوب أن يسقط وهو يتراجع بخطوة للخلف وهو يقول :

(عهدين؟ ... معلش...ممكن حد يفهّمني؟)

ساهر قال بوضوح:

(العهد الأول... عهد النورالذي نحرسه نحن والمقدر لك أن تستلمه بصفتك نسل الوسيط)

ثم أشار للعلامة على الجدار وقال:

(أما هذا...فهو العهد الآخرالذى انبثق بخطوتك الخاطئة)

أيوب:

(يعني دا عهد... تانى خالص غير اللى كنا بنمشى في خطواته من البداية؟"

ظافر أشار براسه موافقا على كلامه دون أن يرد...

وفى تلك اللحظة...

خرج من الشق نفسٌ بارد ، ببرد لا يشبه هواء الشتاء !

برد يشبه هواء المقابر في آخر ليل شديد السواد...

أو ...

بمعنى أكثر دقة ... برد يشبه قُرب شيء من عالم آخر !

فجأة...

خرج صوت من داخل الشق.

كان صوتًا...مألوفًا !

منخفضًا...مكسورًا.

صوتٌ يشبه...

صوت أيوب نفسه !

يقول :

(أيـــوب...إنت سامعني؟)

جسد أيوب تجمد بالكامل...

وعرق بارد ينساب من رأسه على ظهره.

ثم قال بصوت متحشرج :

(دا...دا صوتي؟!)

نجم هزّ رأسه:

(نفس الصوت... لكنه ليس أنت...

وفى نفس الوقت يعرفك...كما يعرف نفسه.)

الصوت من الشق:

(تعالى... قرب...أنا مش هأذيك... أنا هساعدك تفهم.)

أيوب تراجع مذعورا وهو يقول :

(لا لا...دا فخ صح؟!)

ظافر محذرا أيوب :

(أحذر فإن اقتربتَ...لن تعود.)

فقال أيوب:

(طيب حد يقلّي... أتصرف أزاى دلوقتى ؟!... ازاى نقفل الشق من تانى ؟!)

مالك التفت له ببطء وقال بصوت أصبح أكثر عمقا:

(لن يُغلق...إلا بيد الحامل الأن .)

أيوب:

(يبقى الكائن اللى كل شوية يقولى ردلى اللى سرقته دا هو اللى في أيده يقفل الشق ... لازم نتصرف ونجيبه و.....)

فقاطعه ساهر وقال بنبرة فيها مرارة:

(الحامل الأن هو... أنت.)

أيوب فاغرا فاه في دهشة قال :

(أنا؟ ... حامل أيه ؟!....أنا مستحيل أصدّق الكلام دا؟!

وحتى ولو هصدق الجنون دا ... أنا دمرت الدنيا بغلطة ، عايزيني أنا اللى أصلّحها دلوقتى ؟! إزاي؟! ... أنتوا ليه مش مقتنعين أنى أقل وأتفه من اللى بتتكلموا عنه دلوقتى ؟!)

نجم قال:

(الخطأ قد يُصلح... لكن بالتأكيد له كلفة.)

أيوب بضيق :

(هنرجع للكلام اللى شبه الطلاسم دا واللى مش فاهم منه حاجه ...)

فرد ظافر قائلا دون أي مقدمات :

(عليك أن تدخل.)

صاح أيوب:

(أدخل فيييييييين؟! ... جوا الشق؟!)

فرد مالك:

(نعم.)

أيوب صرخ في غضب :

(أنتوا أتجننتوا ؟! ... ولا مش مكفيكم تجارب فيا ؟! ...هتدخلوني فين؟!)

في تلك اللحظة الصوت من الشق يرتفع...

بنفس صوته...

لكن بنبره مرعبة وأكثر عمقا :

(تعالى...أنا مستنيك...مستني من بدري أوي...علشان نكمّل بعض.)

أيوب مسك راسه من الرعب:

(ليه بنفس صوتي؟! ... وليه بيحصل معايا كدا ؟!)

ساهر:

(لأن العهد المظلم...يتخذ ملامح وسمات حامله...ليستدرجه.)

فأكمل نجم قائلا :

(كي يندمج معه...ويصبح كيانا واحدًا."

وقبل أن يرد أيوب بكلمة واحدة ...

قال مالك بجدية محذرا أيوب :

(إما أن تدخله...أو يدخل هو فيك.)

شعر أيوب أن الأمر أكثر خطورة مما يتوقع ، وأن الصياح والغضب لا يفيد أبدا فقال:

(طيب... مفيش أي طريقة غير أنى أدخل يا مالك ؟)

حينها وقبل أن يرد مالك...

بدأ الشقّ يتسع ببطء...

وكأنه فم يفتح !

والصوت أعلى وأقوى ...

(أيـــــوب...أنت أنا...وأنا...إنت.)

أيوب صاح بغضب فلم يعد يتحمل كل هذا الضغط :

(اسكت!!!!)

وهنا...

نبضت العلامة على ذراعه كأنها تتواصل مع الصوت الصادر من الشق.

فلاحظ ذلك نجم وقال:

(لقد فات الأوان ... فقد تعرّف عليك...ولن يتركك.)

أيوب بغضب حاول أن يتحكم فيه:

(طيب إنتوا ، إنتو مش هتعملوا حاجة؟!)

فرد مالك بجمود :

(دورنا يتوقف في هذه المرحلة)

أيوب لم يعد قادرا على السيطرة على غضبه :

(ينتهي إيه؟! ... دا بداية مصيبة!!!)

ساهر:

(مصيبتك...ومهمتك...)

ظافر:

(اخطأت...فتحملت العهد.)

نجم:

(والعهد... لا يترك صاحبه.)

أيوب وقف،

وقلبه يتخبط في صدره وقال :

(طيب...قولتولى قبل كدا لو نجوت هترجعونى للطريق ، يعنى مطلوب منى أقوم بخطوات أنجو بيها ومش هتسيبونى بعدها)

لم يرد عليه أحد ...

ينظرون اليه فقط بنظرات جامدة بلا أي مشاعر واضحة !

فأستطرد أيوب قائلا :

(طيب لو دخلت...هارجع؟)

الأربعة ردّوا في وقت واحد:

(لا نضمن...)

فجأة ...

أتسع الشَقّ أكثر...

والصوت أصبح أكثر رعبا:

(تعالى...يا أيوب...أنا...عايز أرجّع اللي ضاع...عايز نكمل...مع بعض.)

أيوب أغمض عينه ، وأخذ نَفَسا عميقا...

أعمق من كل مرة...

وبصوت مجروح قال :

(بس أنا...مش معايا اللى ضاع منك ، ولا أنا أنت زى مابتقول .)

ثم فتح عينيه وصاح:

(ومش هدخل إلا لما أفهم...وأقرربنفسي أنا هاعمل إيه.)

حينها...

توقّف الشقّ لثانية...

ثانية واحدة فقط...

لكنها كانت كافية !

همس مالك:

(لقد... سمعك.)

أيوب:

(طيب...دا شيء كويس؟ ... ولا فيه مصيبه جايه؟)

فجأة وقبل أن يرد...

نَفَث الشقّ هواء أسود تدفقت منه موجة دفعت أيوب للخلف.

واختفت الأصوات...

واختفى التنفس...

واختفى كل شيء.

ثم قال مالك بجمود :

(أيوب...لقد اخترتَ)

أيوب:

(اخترت إيه؟!)

فرد نجم قائلا :

(أن يبدأ الصراع الحقيقي.)

الحلقة الرابعة – صدى الحامل الأول

في تلك اللحظة...

صوت غريب يصدر من الجدار ...

صوت في كل لحظة يعلو ... يعلو... ويعلو !

صوت ينبئ بأن شيء على وشك الحدوث !

توتر الجميع ، وأصبحوا في وضع تحفز و.....

فجأة....

خرج من الجدار موجة ضخمة صدمت أيوب في صدرة ، سقط على أثرها أرضا !

لم يكن سقوط أيوب على الأرض نهاية الموجة...

بل بدايتها !

فمع ارتطامه بالأرض ،ساد صمت كثيف...

وكأن الهواء نفسه أُفرغ من الغرفة !

فتح أيوب عينيه بصعوبة، ونظر حوله ...

الغرفة كما هي، لكن شيئًا ما كان غيرَ موجود...

شيئًا مهمًا...

الشق...

الشقّ اختفى !

أيوب وقف ببطء،

يتحسس على الحائط مكان العلامة، ثم قال بصوت متحشرج :

(هو... فين؟ ... راح فين؟ ... الشقّ اختفى؟)

ردّ عليه ظافر وعينيه يتحركان في جميع أرجاء الغرفة :

(اختفى... لأنه لم يعد في الجدار.)

أيوب بتوتر:

(يعني إيه؟ ... اتنقل؟ ... ولا غير مكانه؟)

ساهر تقدم خطوة وقال:

(الشقّ...انتقل الى من أيقظه.)

أيوب:

(اللى أيقظه؟... يعني... جه فيّا؟!)

مالك رفع يد أيوب أمامه ونظر للعلامة الموشومة عليها وقال :

"ليس كلّه...

لكن جزءاً منه."

أيوب نظر ليده...

مناطق الجلد التي عليها أثر العهد...

كانت أغمق...

أكثر عمقًا !

حينها كانت مظاهر الرعب والرهبة ترتسم على وجه أيوب قبل أن يقول نجم :

(لا تقلق ، فلم تتحول تحول كامل بعد ،لكنك فقط تحمل صداه.)

أيوب:

(صداه؟! ... وصداه دا بيعمل إيه جوايا ؟....

الموضوع بيكبر يا مالك...وبيكبر بطريقة مش طبيعية!)

فجأة...

ارتفع صوت همس خفيف خلف أيوب.

ليست تلك الهمسات المعتادة التي أعتادها أيوب منذ معرفته لجن بنى الهامس ...

بل همس مختلف...

أعمق...

أقدم...

وفيه شيء من الحزن !

(أخــيرًا...رجعت.)

تجمد أيوب في موضعه ثم قال :

(إيه دا؟!.. مين دا؟!)

نجم تراجع خطوة للوراء في ريبة ...

ظافر رفع ذراعه في حالة هجومية...

ساهر عقد ذراعيه، وهو يتفحص المكان...

ومالك قال بصوت منخفض:

(إنه... صدى الحامل الأول.)

أيوب:

(حامل إيه؟...الحامل الأول بتاع العهد التانى؟)

ساهر:

(نعم... الذي أخذتَ منه العهد... دون قصد.)

الصوت اقترب ، وصارت خطواته كأنها تأتي من قلب أيوب نفسه !

ثم ظهر الظل...

لكنّه...

لم يكن ظلًا هلاميًا كالذي خرج من الشقّ سابقًا !

بل على هيئة رجل !

رجل طويل جدًا، نحيل كالغصن اليابس، وجهه بلا ملامح واضحة ، ماعدا عينين غائرتين يحمل فيهما غضب ألف عام !

اقترب الظل وقال:

(كان ملكى...!)

ثم أضاف بصوت مخنوق:

(كان... عهدي...حتى سلبتَه مني.)

فرد أيوب بتوتر ورهبة :

(أنا... أنا ماعرفش حاجه عنكم ولا عن العهد دا !...

إنت فاكرني كنت فاهم حاجة؟)

الظلّ مال برأسه قليلًا ثم قال :

(مش مهم تفهم...أنا اللي فاهم.)

ساهر قال بصوت رسمي حاد:

(كفّ عن ذلك... لقد فقدتَ عهدك بسبب خطأ دون قصد...

ولا حقّ لك في استعادته بالقوة.)

الظل ضحك ضحكة جوفاء...

مرعبة...

وكأنها تخرج من حجر !

ثم قال :

(القوة؟ ... القوة ليست هنا...)

وأشار بإصبعه - أو ما يشبه الإصبع - إلى صدر أيوب وأردف قائلا :

(القوة... عنده هو .)

فقال أيوب بضيق :

(يا عم ابعد عني بقى ...أنا ماعرفكش! ولا أنا عاوز عهدك دا)

فقال الظل:

(لكننى...أعرفك...أعرف مخاوفك...أعرف خطأك...)

حاول أيوب أن يتكلم فلم يعطه الظل فرصة وأستطرد قائلا :

(وأعرف إنك فتحت البوابة دون قصد...

وأعرف أيضا أن العهد الأن...أصبح ناقصا.)

أيوب بتعجب :

(ناقص يعني أيه ؟ ... وناقص إيه؟)

فرد الظل قائلا :

(قطعة...قطعة مني لازالت متعلقة بالعهد.

وأنت...أخذت ما كان مقدرا أن يظل بحوزتى !)

أيوب بسخرية :

"يا سلام! ...طيب خلاص رجّع عهدك وأنتهينا!)

الظل حدق في أيوب للحظات ثم قال :

(ليت الأمر بتلك السهولة ...)

حينها أقترب مالك خطوة وقال بجدية للظل :

(كفى، هو لا يفهم شيئا عن عالمنا ولا عن العهود عندنا)

أيوب بصوت عال غاضبا :

(يبقى فهموني!!! ... أنا ما بقيتش عارف أنا مين ولا أنا مع مين ؟! ، مين معايا ومين ضدى؟! ... كفاية بقى !)

فقال نجم محذرا أيوب :

(إذا لم تهدأ...ستوقظه.)

أيوب:

(مين دا اللى هوقظه ؟!)

ساهر نظر للظل الأول قائلًا:

(الذى أمامك الأن ماهو الا صدى الحامل الأول ... وسوف يتبعه الأصل قريبًا.)

أيوب:

(الأصل؟!)

الظل ابتسم ابتسامة بطيئة مؤلمة وقال :

(أصلـــي...أنا.)

فجأة...

ظهر فوق رأس أيوب ضوء أسود !

كأنه انشقاق صغير في الهواء...

مالك صاح في الظل قائلا :

(توقف ... قلت لك انه لا يعرف شيء !)

لكن الظل لم يبتعد وقال:

(أنا...هنا من أجل أسترداد ما سلب منى)

أيوب تراجع في خوف وقال :

(أنا ماسرقتكش ! ... ممكن أكون غلطت...لكن ماسرقتكش!)

الظل اقترب أكتر...

حتى صار وجهه الممسوح أمام وجه أيوب وقال :

(خطأك...جعلنى ناقصا...)

وفى تلك اللحظة...

دوى صوت في أرجاء المكان كله يقول :

(أعِدْ... ما ليس لك.)

أيوب انهار على ركبتيه من شدة الرعب وقال:

(أنا مش فاهم حاجة !!... أعيد إيه؟! وأعمل إيه؟!)

فقال الظل كلمته الأخيرة قبل أن يتلاشى:

(افتح الطريق...وسأعود لأسترد ما سلبته منى !)

ثم اختفى...كأنه لم يكن !

لكن الهواء بعده صار ثقيلاً !

وكل شيء في البيت...أصبح أغمق !

أيوب قال وهو يلهث:

(هو...هو هيرجع؟)

مالك قال بصوت عميق:

(نعم...هذه ليست النهاية.

هذه فقط...بدايـــة المطالبة.)

الحلقة الخامسة – حين بدأ الخطأ

وفى الليلة التالية...

كانت ليلة هادئة على غير عادتها...

هدوء خانق لا يشبه السكون الطبيعي الذي اعتادته القرية...

سكون يشبه أنفاس كائن مختبئ يراقب كل حركة !

أيوب كان يجلس أمام الكتاب القديم من جديد ، يبحث عن أي شيء قد ينجيه مما هو فيه !

الكتاب القديم مفتوحا على الصفحة التي ظهرت منها أولى العلامات.

كان يشعر شعورا قويا بأن هناك طرف خيط غير مرئي سيقوده لحل لهذه المعضلة !

كان يحاول استيعاب ما حدث في الليالي الماضية...

الغلطات الصغيرة التي ظنها غير مؤثرة، لكنها في الحقيقة كانت مفاتيح...

مفاتيح فتح بها بوابة لم يكن معنى لوجودها الآن...

وفجأة...

شعر أيوب ببرودة تسري في أطرافه، كموجة هواء تمر عبر جسده من الداخل لا من الخارج!

رفع رأسه فرأى الضباب الذي غطّى الأرض بدأ يتجمّع...يتلوّى !

يتخذ شكلًا مألوفًا !

كان مالك...

ظهر بملامحه الهادئة ...

لكن عينيه هذه المرة لم تكونا هادئتين !

كان في داخلهما ارتباك خافت حاول تغطيته !

وقف بينه وبين الجدار في صمت لكن عينيه كانتا تبوحان بكل شيء !

ابتلع أيوب ريقه وقال:

(يا مالك أنا... أنا ماكنتش أقصد... كنت فاكر إني بعمل الصح!)

أغمض مالك عينيه لحظة ثم قال:

(النيّة لا تُلغي الأثر... والعهد لا يتعامل بالنوايا.)

وقبل أن يسأل أيوب أي سؤال ظهر ساهر فجأة صامتًا كعادته ...

لكن نظرة عينيه كانت تطعن الجدار الذي خلف أيوب !

ثم تجسد ظافر عند الباب ، يتلفت حوله كصياد يتوقّع هجومًا قادمًا من أي ركن !

وأخيرًا...

ظهر نجم متأخرًا، والرماد الأزرق يتساقط من كتفيه كأنه غبار كوكب بعيد !

نظر الأربعة إلى أيوب بصمت ثقيل.

ثم قال مالك:

(للأسف لقد مهّدت الطريق لشيء لم يولد بعد... شيء لم يُستدْعَ، ولم يُسمَح له بالظهور.)

أيوب بارتباك:

(طيب ما تيجوا نشوف طريقة نصرف اللى حضر بسبب الخطأ...)

ساهر قال ببطء:

«هو ليس كائنًا لنصرفه... بل عهدًا.»

نجم تقدم بخطوات هادئة، ورفع إصبعه الطويل المضيء وخطّ به دائرة صغيرة في الهواء.

ثم قال بصوته العميق:

(الأن ... هناك عهدان يا أيوب...العهد الذي نحن حُماة له...والعهد الآخر...الذي كنا نحجبه عن عالمك منذ زمن.)

أيوب اتسعت عيناه:

(يعني أنا... بالغلط... نقلت العهد التاني ده... لعالمى هنا ؟!)

ظافر هز رأسه نفيًا ثم قال:

(لم تنقله بالمعنى الحرفى ...لكنك فتحت ثغرة...

ثغرة وجدتْها قُوَى كانت تنتظر أي خطأ... ولو كان صغيرًا.)

اقترب مالك وجثا على ركبته قرب أيوب ثم قال :

(لقد أندمجت – دون قصد – ببقايا العهد المظلم من حامله الأول.)

أيوب لم يستطع الرد لكن أرتسمت على وجهه ملامح الحزن والندم ...

فرد ساهر بحدة نادرة:

(وأزيدك بمعلومة آخرى ... لعلك تعلم أن الخطأ ولو كان غير مقصود فلن يتغير الأثر المترتب عليه ... هذا الحاملٌ أخطأ كما أخطأت أنت...

لكن خطأه كان أكبر...فوقع في الظلام حتى صار هو نفسه جزءًا منه.)

أيوب، بخوف مخنوق:

(طيب... أنا كده ماشي في طريقه ؟ ، هبقى زيه؟!)

سادت لحظة صامتة.

ثم قال نجم:

(ليس تمامًا...خطؤك الأول جعل بقايا العهد تنتقل إليك...

لكن خطؤك الثاني... منعنا عنه)

أيوب اتسعت عيناه أكثر:

(خطأ تانى؟! ... ومنعتكم... عن إيه؟!)

فقال مالك:

(نعم خطأك الثانى هو استسلامك للخوف...

لقد حذرناك كثيرا أن الخوف سيفتح المجال لثغرة يستغلونها للولوج اليك...

لكنك لا تستمع!...

حذرتك من ألا تستمع له ، وأن تتحكم في روحك ، لكن .....لا فائدة !

والأن ... حتى اللحاق بالعهد المظلم قبل استقراره فيك صار صعبا علينا !)

أحس أيوب بدوار...

جلس على الأرض، وشعر بأن صدره يضيق.

شعر مالك بما يعانيه أيوب في تلك اللحظة ...

وأنه بالفعل رغم أخطائه الا أنه أيضا لا يد له في كثير مما يحدث !

فأقترب منه أكثر ووضع يده على صدر أيوب، فأحس الأخير بحرارة عجيبة تنتشر داخله.

ثم قال :

(يا أيوب... أنت لست مَلُومًا وحدك...لكن عليك أن تفهم أن لكل حركة، لكل خوف، لكل كلمة... صدى في العهد.)

وبينما يتحدثون ...

شعر أيوب بأن شيئًا يتحرك تحت جلده !

نبضة...نبضة غريبة !

ثم...

صوت !

صوت خافت جداً...

(أيووووب...)

ارتجف أيوب ثم قال :

(سمعتوا؟!)

وبعد لحظات بدأت الحوائط ترتجف !

والضباب يتجمع في سقف الغرفة كأنه ينزل من الأعلى إلى الأسفل !

ثم...

انشقّ الجدار بشق رفيع...

لكن هذه المرة كان بداخله عين واحدة !

عين تتحرك...كأنها تبحث عن شيء !

حينها وفى تلك اللحظة...

تقدم ظافر بسرعة، ومد ذراعه نحو الجدار، وهمس بكلمات لم يفهم منها أيوب حرفًا !

أما ساهر فوضع كفه على كتف أيوب وقال:

(لا تنطق بكلمة...)

وقال نجم بصوت منخفض:

(علينا أن نغلقه... الآن... قبل أن يشقّ طريقه للخارج)

وبالفعل ...

وقف الأربعة في شكل نصف دائرة حول الشق.

ارتفع الضباب ، وتوهجت عيونهم الأربعة بألوان مختلفة.

فقال ساهر بصوت منخفض:

(ابدأوا.)

تعالت أصوات غريبة...

ترانيم...

همسات ...

وأصوات تشبه صرير الحديد على زجاج !

أيوب وقف يتابع، وقلبه ينبض بعنف !

توسّع الشق للحظة...

ثم ...

تقلّص...

ثم عاد يتسع !

فصاح نجم :

(إن هذا الحقير يقاوم! ... انه يستشعر وجود أيوب!)

أيوب يتراجع للخلف...

فنهره مالك بصوت قوي قائلا :

(ابقَ مكانك!!)

أيوب يتجمد مكانه على الفور...

والعين داخل الشق تتحرك...

تقترب من فوهته...

تدور...

تحاول التركيز عليه !

فصاح ظافر بتوتر :

(مالك!! ... إقفل الدائرة!!)

تجمع الأربعة حول الشق كدائرة مغلقة ، وتوهجت أجسادهم !

ثم...

انفجار مكتوم !

اختفى الشق.

اختفت العين.

اختفت النبضة !

وفى تلك اللحظة بالضبط ...

سقط الأربعة على الأرض منهكين.

رفع ساهر رأسه بصعوبة ونظر إلى أيوب وقال :

(لقد أغلقناه... لكن لفترة قصيرة.)

أيوب جلس على الأرض يرتعد:

(يعني... هيرجع؟!)

مالك قال بصوت متعب :

(سيعود بكل تأكيد ...لأنك تحمل بقاياه.)

وأضاف نجم بنبرة جادة :

(الحرب قد بدأت يا أيوب...ولا مجال للخطأ !)

أما ظافر فقد نهض سريعا من على الأرض ثم قال :

(أنت الآن...بين عهدين ويجب أن تدعم روحك للثبات لتوجيهها الى الطريق الصحيح)

أيوب فغر فمه ثم قال:

(يعني أنا دلوقتى ... حامل عهدين؟!)

رد مالك :

(لا... أنت لست حاملًا لأي عهد كامل...

أنت بوابة... بوابة سُحب منها العهد الصحيح...

وتسرّب إليها العهد المظلم...و للأسف انقسمت من الداخل.)

سقطت الكلمة على صدر أيوب كالسهم !

انقسم... انقسم من الداخل !

ومعها...

بدأ الظلام يتحرك تحت جلده مرة أخرى !

الحلقة السادسة – الانقسام

شعر أيوب بشيء يتململ تحت جلده...

ليس ألمًا...

ولا نبضة...

بل حركة كيان !

كأن شيئًا يحاول أن يجد لنفسه مكانًا داخل صدره ، يحشر نفسه بين قلبه ورئتيه !

أيوب وضع يده على صدره بقوة ، وعيناه تتسعان خوفًا ثم قال :

(إيه ده... إيه اللي بيحصلي؟!)

لم يتحرك أحد من بني الهامس...كأنهم ينتظرون شيئًا محددًا !

فقال مالك بصوته العميق الذي صار أكثر حزنًا من قبل:

(تلك هي لحظة الانقسام يا أيوب ، لحظة عبور العهدين داخلك...

لحظة لن نقدر فيها على مساعدتك إلا بالكلام.)

أيوب يصيح :

(يعني إيه انقسام؟! ...أنا مش فاهم حاااجة !)

اقترب ساهر، ووقف أمامه بوجه جامد ثابت لا يظهر عليه شيء ثم قال :

(ستشعر وكأنك شخصان...صوتان...اتجاهان...لكن بجسد واحد.)

أيوب يحدق فيه، وأنفاسه تتسارع:

(طيب وده لحد إمتى؟!)

ساهر:

(حتى يقرر العهدان أيهما يستقر... وأيهما يُطرد.)

نجم تدخل بنبرة باردة:

(والمعضلة...أن العهد المظلم قوى وليس سهلا بالمرة !)

أيوب برعب :

(يعني... هو اللي هيسيطر؟!)

رد نجم:

(ان تركتَه يفعل... نعم.)

في تلك اللحظة...

بدأ الضباب يتجمّع حول قدمي أيوب كأنه يلتف عليه ويحاول تثبيته في مكانه !

وصوت ينادى !!

لم يكن يسمع نداءً هذه المرة من الخارج...بل من أعماق صدره !

(أيووووب...)

لكن الصوت هذه المرة مختلف...

أقرب...

أثقل...

أكثر... حضورًا !

لحظة ثم عاد الصوت مرة آخرى :

(اسمعنى...وما تخافش منى ، احنا الأتنين واحد يا أيوب)

أيوب يتراجع وهو يصرخ:

(لأ.... أبعد عنى ، عمرنا ماكنا واحد ولا هنكون !)

ضحكة خافتة صدرت من داخله...

ضحكة ليست بشرية !

وليست حتى من بني الهامس !

ضحكة كانت تقطر غِلًّا !

ثم قال الصوت :

(أنا مش دخيل يا أيوب...أنت اللي ناديتني...وفتحتلى الباب)

فصاح ظافر قائلا :

(قاومه يا فتى !... لا تتجاوب معه!

أي رد... أي كلمة... ستقوّي وجوده!)

أيوب بانفعال وتوتر ملحوظ يغطي أذنيه ... يترنح ... يكاد أن يسقط !

مالك بحدة:

(لا تستسلم !... ولا تجعله يسيطر عليك...

فحتى وان كان قويا ، لكن يمكنك كسره... فقط ان أردت !)

وبينما أيوب في هذا الصراع ، بدأ الجدار يرتجّ مرة أخرى...

والعلامة السوداء التي كانت تتنفس...

تمدّدت !

ثم...

تشققت من المنتصف.

بشقّ رفيع ، ضيق ، لكن بداخله ظلام كأنه حفرة بلا قاع !

فصاح ساهر:

(الحامل الأول يحاول استعادة ما فَقَد...يحاول دعم الانقسام الأن)

حينها كان أيوب يلهث ، وعرقه يتساقط من جبينه.

والصوت من داخله يهمس:

(سيبهم...دول مش عايزين مصلحتك...

همّا سبب اللى أنت فيه من البداية...وهيضحوا بيك في الآخر ... صدقن يا أيوب)

أيوب يصرخ بغضب:

(اسكت!!!!!)

حينها وأثناء ذلك تعثر أيوب وسقط على الأرض.

وبدأ يضرب صدره بقبضته بهيستيريا ، كأنه يريد إخراج شيء محبوس داخله !

فأمسك به مالك وقال:

«أيوب... اسمعني جيدًا ما تقوم به الأن لن يؤذى سواك ...

كل ما بداخلك الآن...صراع بين عهدين...

سيظهر لك العهد المظلم على مراحل...

صوت... ثم ظل... ثم هيئة...

إن تجاوبت معه...سيأخذ شكله منك، وسيستخدمك كبوابة.)

أيوب، بصوت متقطع:

(هو... هو عايز إيه منى ، العهد بتاعه ؟ ، ما ياخده ويسيبنى في حالى !)

ساهر أجاب ببطء:

(يريد... جسدًا... وبالتحديد جسدك أنت)

أيوب شهق شهقة حادة.

لكن الصوت الداخلي قاطعه قبل أن ينطق وضحك من جديد ثم قال :

(ما تخافش...هتتعود...أنا أصلاً جزء منك...

أنت اللي فتحت الباب ... وإنت اللي هتدفع التمن .)

أيوب ضرب الأرض بيده:

(أنا لا فتحت أبواب ولا أنت جزء منى ! ... أنت دخيل وعاوز تفرض نفسك بالقوة !)

الصوت داخله:

(لا يا أيوب ... أنت فتحت خلاص...والباب... مش هيتقفل.)

وفى تلك اللحظة...

تفاجأ الجميع بضوء أزرق قوي فوق رأس نجم، وكأنه فتح دائرة طاقة حوله.

ثم قال:

(أيوب... العهد الموروث لم يكتمل فيك...والعهد الآخر لم يستقر.

أنت لست حاملًا لأى عهد من العهدين ...أنت ساحة صراع وجودى !)

فأردف مالك بحزن حقيقي:

(أنت الآن... ميدان حرب بين عالمين ...

عالم يصارع من أجل البقاء ، وعالم آخر ينتظر فرصة السيطرة منذ دهر بعيد !)

كانوا جميعًا منشغلين ...

لكن في تلك اللحظة بالذات وأثناء انشغالهم ....

الشق على الجدار...بدأ يفتح من تلقاء نفسه !

فجأة ...

لاحظه ظافر فصاح قائلا :

(ساهر!! ... الشق !!)

أيوب دفع نفسه بعيدا ، ينظر للرعب الذي يتشكل أمامه.

و الصوت الداخلي يتردد داخله الأن بدرجة أعلى...

أقرب...

كأنه يقف خلف أذنه مباشرة ويقول :

(ماتخافش ...ده أنا...جاي لك يا أيوب)

أيوب صرخ بأعلى صوته:

(أرحنى بقي ... وسيبنى في حالى حرام عليك ... كفاااااية !)

وبمجرد أن صرخ...

انفجر الشق مصدرًا ضوءًا أسودًا.

تطايرت قطع من الجدار...

وارتد أيوب للخلف بقوة ...

وصرخة مكتومة خرجت من الشق كأنها صرخة وُلدت بعد ألف سنة من الانتظار !

فصاح مالك :

«أيوب!! ... لماذاااا؟!)

ساهر بغضب:

(لا فائدة الأن ... لقد أعطاه هذا الغبي القوة ليتشكل!!!)

نجم باحباط :

(لقد بدأ الظهور...الحامل الأول قادم !)

حينها ...

كان أيوب ملقى على الأرض...

والظلام يتجمع فوق صدره في هيئة رجل يتكوّن من دخان أسود !

رجل بعين واحدة مفتوحة...

تبحث عنه في شغف !

الحلقة السابعة – ميلاد الظل

ثم صرخة آخرى أكثر صخبا من سابقتها !

تلك الصرخة التي خرجت من الشقّ لم تكن صرخة بشر...

ولا صرخة جنيّ من بني الهامس...

كانت صرخة ... كأنها صرخة ولادة !

ولادة شيء...لم يكن يجب أن يولد !

الجدار ارتجّ، والعلامة السوداء تمددت كأنها سائل !

وكان بنو الهامس الأربعة يتحركون بسرعة:

مالك يمد ذراعه في اتجاه الشق ...

نجم يكوّن هالة ضوئية زرقاء حول الجميع...

ساهر يسحب أيوب للخلف...

و ظافر يقف بين الشق وأيوب كجدار...

لكن وعلى الرغم من كل ذلك...

لم يستطيعوا منع ما كان قادمًا !

فبعد اختفاء الدخان الأسود الذى كان يتجمع فوق صدر أيوب فجأة من بعد دوى الصرخة الأخيرة ، خرج من الشق أول خيط من الظلام...

خيط رفيع...

ثم اتسع...ثم اتخذ شكل ذراع !

ذراع طويلة...

جلدها أسود تمامًا يشبه الفحم !

لكن يتلألأ كأنه مبلل بزيت !

ثم خرج الكتف...

ثم الرأس...

رأس طويل ، نحيل ، بعين واحدة فقط...

عين واسعة مفتوحة بالكامل ، من دون أن ترمش !

وكأنها تقرأ كل شيء أمامها.

صوت أيوب خرج كاختناق وهو يقول :

(ده... ده هو الحامل اللى بتقولوا عليه ؟!)

رد ساهر بصوت ثابت رغم كل مايحدث :

(نعم...انه حامل العهد الأول)

أيوب برهبة وهو يحدق في ذلك الشئ الذى يتكون أمامه :

(هو... ده شكله ؟!)

نجم قال:

«لا ... لكنه فقط لم يتجسد بشكل كامل...)

الحامل الأول التفت بعينه الوحيدة...

ونظر مباشرة إلى أيوب...

ثم قال بصوت عميق كأنه يأتي من حفرة سحيقة :

(أَيــو... ب.)

ارتجف أيوب بالكامل.

ليس خوفًا فقط ، بل من ثقل هذا الصوت داخله !

فصاح مالك:

(لا تنطق بكلمة يا أيوب!)

في تلك اللحظة ...

الحامل الأول ابتسم...

إن كانت تلك ابتسامة فعلًا !

فقد انفرج فمه قليلًا كأنه جمجمة تتشقق !

ثم مد ذراعه الطويلة نحو صدر أيوب.

وبمجرد أن اقتربت أصابعه من صدره اشتعلت العلامة السوداء على جدار الغرفة بوهج أبيض مفاجئ !

فأنحنى ساهر وقال:

(إنه يحاول استعادة الجزء المفقود...النبضة التي انتقلت إليك!)

أيوب يصرخ وهو يضع يده على صدره يشعر و كأن جلده يحترق...

ثم فجأة...

خرج نفس الصوت الذى كان يسمعه من داخله يقول :

(سيبنى...سيبني...أرجع.)

فأنهار أيوب وبدأ يضرب صدره بقبضته بعصبية !

الحامل الأول ابتسم أكثر ، وكأنه يسمع فقط صوته الداخلي لا صراخه وتصرفاته الخارجية.

وأثناء ما يحدث ذلك ...

رفع نجم ذراعه للسماء ، وكون دائرة طاقة زرقاء ، ثم قذفها تحت قدمي الحامل الأول.

أما ظافر فقد قفز للأمام وضرب بقبضته صدر الكيان !

وساهر مد ذراعه الطويلة ، ومد خيط ظل أسود كأنه حبل يريد سحب الحامل الأول للخلف.

ومالك...

وقف أمام أيوب وجسده يتوهج بنور ذهبي.

حدث كل ذهذا في ثوان معدودة !

لكن للأسف كل هذا لم يحرك الحامل الأول ولو خطوة واحدة !

فنظر اليهم بسخرية وقال بصوت رخيم:

(كلكم...بلا قيمة...هو فقط...الطريق)

وأشار إلى أيوب وهو يقترب بخطوات كانت مرعبة رغم أنها بطيئة .

فصرخ أيوب:

(مالك!!! ... إلحقني!!!)

فأنتفض مالك وصاح بصوت هز الغرفة:

(ابتعد عنه!!!!)

وقفز مالك نحو الحامل الأول بسرعة رهيبة .

وأصطدم به بقوة...

لكن...

كأن مالك اصطدم بكتلة حديد !

فقد ارتدّ للخلف وسقط على ركبتيه وهو يلهث في ألم !

فجزع ساهر وصاح :

(مالك!!)

لكن مالك رفع يده بحسرة ، وألم حاول أن يخفيه وقال:

(أنا بخير...لا تقلق... تابعوا!!)

وأثناء ذلك ...

مد الحامل الأول يده نحو أيوب.

بهدوء مخيف...

هدوء أكثر رعبًا من الهجوم المباغت !

ثم لمس الهواء أمام صدر أيوب ، وكأنه يمسك شيئًا غير مرئي !

حينها...

صرخ أيوب!!!!

صرخة نبعت من أعماق روحة !

وكأن شيئًا ينتزع من داخله بقوة خارقة !

بينما جسده يُسحب للأمام دون إرادته !

فصاح مالك :

(لا!!! ... لا تسمح له باختراقك ...إن نجح سيصبح جزءًا منك!!)

حاول أيوب المقاومة ، لكن بلا فائدة !

والصوت من داخله صار هو الأعلى...

(سيبنى...سيبنى...ده...أنا...ماتخافش)

وفى تلك اللحظة وأثناء هذا الصراع ...

توقف الزمن...

رماد نجم الأزرق كان يتساقط فتوقف في الهواء ولم ينزل...

تجمد جسد مالك وهو يمد يده وعلى وجهه ملامح رعب لا توصف ...

وظلّ ساهر معلقًا بين خطوتين...

أما ظافر واقف كتمثال وهو يحاول العدو نحو أيوب وعلى وحهه ملامح الغضب .

كل شيء تحوّل إلى لوحة ثابتة !

إلا أيوب والحامل الأول !

حينها رفع أيوب رأسه فوجد الحامل الأول أمامه مباشرة.

وعينه الوحيدة لمعت بلون أبيض بارد !

ثم قال:

(انصت لى جيدا...)

أيوب وهو يرتجف:

(إنت... عايز مني إيه؟! ... أنا ماسرقتش منك حاجة)

مد الكيان يده ووضع إصبعه على منتصف صدر أيوب.

شعر أيوب كأن قلبه توقف !

فقال الحامل الأول :

(أنت...لست خطأي...ولا خطأهم...أنت...البديل.)

أيوب بصوت صارع ليخرجه من حلقه قال :

(مش فاهم حاجه! .. بديل إيه؟! .. وبديل مين؟!)

الحامل الأول اقترب منه أكثر وقال:

(كنتُ أنا الطريق قبلك ...لكنني...سقطت.وأنت...حللتَ بدلا منى)

أيوب يصيح :

(أنا ماعملتش حاجة ولا عاوز أكون بدل منك!!!)

قال الحامل الأول :

« لقد فتحْتَ الباب لحدوث ذلك...ولو بالخطأ...والباب...لا يفتح لأى أحد.)

أيوب اتسعت عيناه...

فأردف الحامل الأول قائلا :

(أنت...بالطبع الباب لا يفتحه أى بشر عادى ...و.....)

فجأة ...

لم يستطع الحامل الأول أن يكمل ما كان يقوله لأيوب !

فقد انطفأت عينه فجأة !

وعاد الزمن للتحرك من جديد !

حينها سمع أيوب صياح مالك وهو يقول :

(أيوب!!!... ابتعد عنه!!!)

وظافر اندفع للأمام...

وساهر جذب أيوب للخلف.

أما نجم فقد أطلق دائرة طاقة مرة ثانية نحو الحامل الأول .

لكن حدث مالم يتوقعه الجميع...

الحامل الأول بدأ يتلاشى تدريجيًا !

عائدا إلى الشق ، الذي بدأ ينكمش ببطء.

وقبل أن يختفي تمامًا قال بصوت مكتوم:

(سأعووووود.)

ثم اختفى ...

وسقطت الغرفة في تلك اللحظة بصمت ثقيل.

أرتمى أيوب على الأرض وهو ينظر إلى علامات الاحتراق على صدره، وعينيه تتسعان.

فأقترب منه مالك وقال:

(لقد لمس قلبك يا أيوب... هذا الاتصال لن ينقطع بسهولة.)

أيوب رفع رأسه وقال بصوت مخنوق:

(هو... قال... إني البديل...وان مش أي حد عادى ممكن يفتح البوابة !)

الحلقة الثامنة – المواجهة الأولى

لم يرد أحد على أيوب ، وساد الصمت المكان...

وفى ذلك الوقت كان يشعر أن الدنيا كلها تدور...

عقله توقف عن استيعاب أي شيء!

وكلمات الحامل الأول تدوى داخل أرجاء عقله !

وأنفاسه لا تدخل صدره كاملًا ، كأن شيئًا يقف بينه وبين الحياة.

جسده لم يعد كما كان.

حتى الألم الذى يشعر به...

تحول من كونه ألم عادى الى نبضة !

نبضة ليست منه ، ولا من قلبه ، نبضة تأتي من ذلك العهد المظلم !

كان أيوب في تلك اللحظة ينظر إلى يديه المرتجفتين، وعلى ذراعه خيوط احتراق سوداء تشبه شقوق الأرض بعد انفجار بركان !

رفع رأسه ببطء ، لينظر إلى بني الهامس الأربعة ...

فرأى على وجوههم ملامح زادته قلقا وخوفا !

مالك بوجه موجوع من الألم والحسرة.

ساهر عينيه مغلقتان كأنه يفكر بسرعة تفوق الكلام.

ظافر يدور حول نفسه متحفزًا، يترقب هجومًا جديدًا.

أما نجم فقد تجمّد تمامًا، كأن الضوء في جسده انطفأ.

وكأن ظهور الحامل الأول قد أصابهم جميعًا بـالعجز والإحباط !

اقترب أيوب من مالك قليلًا وصوته يرتعش قائلا :

(هيجرالى ايه بعد ما لمس قلبي... ؟)

فتح مالك عينيه ببطء ونظر اليه دون أن يرد !

كان يبدو وكأن ثقل العالم كله على كاهله !

فأقترب منهما ساهر ورد بنبرة هادئة صادقة:

(لقد وصل إليك...كما لم يصل لحامل قبلك.)

أيوب يصيح بغضب:

(ليه؟! .. ليه أنا؟! .. أنا عملت إيه في حياتي عشان يحصل كل دا؟!..عشان غلطة مش مقصودة؟!)

نجم رفع يده ، والرماد الأزرق يتساقط من أصابعه:

(لقد سمعتها منه يا أيوب ....)

فأقترب منه أيوب وعلى وجهه ملامح الاستغراب ...

(أيوه ... أنت وصلت للنقطة اللى عاوز أعرفها ...

هو قال أن مش أي حد عادى ممكن يفتح البوابة ... دا بقى معناه أيه؟!)

فرد نجم بهدوء قائلا :

(لأنك...لست بشرًا عاديا بالفعل.)

أيوب يتجمد في مكانه ثم قال :

(يعني إيه أنا مش بشر عادى ؟!)

مالك يقترب خطوة...

ويجثو على ركبتيه أمامه ويقول :

(يا نسل الوسيط... لقد أخفى جدُّك عنك أكثر مما تعلم)

و بينما يتحدثون ، وقبل أن يكمل مالك حديثه ...

تحرك شيء على الجدار...

العلامة السوداء...

لم تعد مجرد بقعة تنبض و تتنفس...

بل بدأت تلتف ببطء، كأنها عين تفتح وتنغلق دون أن تكتمل !

أيوب صاح في جزع :

(شايفين اللى أنا شايفه ؟!)

أقترب ظافر من الجدار وقال:

(لقد تشبعت العلامة بصدى الحامل الأول.)

أيوب محدقا في العلامة بذهول وهو يتراجع للخلف.

فجأة ...

سمع أيوب الصوت الداخلي يعود من جديد ...

(إيـــووب...أنا... جوّاك.)

تراجع للوراء أكثر وهو يضع يديه على رأسه في توتر ويقول :

(لا... لا... لا... مش عايز أسمعك!)

نجم قال بصوت مرتفع:

(أصمت !...أي جملة تقولها ، أي رد ، أي شعور خوف يقوّيه...

افصل روحك عنه بارادتك لا بصوتك !)

أيوب يصيح في غضب :

(إزاي؟!!!)

مالك يرد:

(بالوعي... وبإدراك أنك لست ملكه...وانك أقوى منه)

فجأة وقف أيوب في جزع يحدق في شيء أمامه ...

ضباب !

ضباب حوله يتجمّع على الأرض، وصار يشبه موج البحر قبل العاصفة !

ثم...

غاص فيه أيوب !

ليس سقوطًا...

ولا فقدان وعي...

بل انتقال !

انتقال إلى داخله !

حينها وفى تلك اللحظة ...

وجد نفسه يقف في مساحة سوداء، لا جدار، ولا أرض، ولا سماء !

فقط ظلّه...

وامتداد هذا الظل أمامه كأنه يتحول إلى شخص !

ثم ظهر ...

الحامل الأول...

لكن ليس بجسده، بل بهيئة ظلّ أسود له نفس العين الواحدة التي سبق أن رآها.

ابتسم الظل وقال:

(أخيرا ... بقينا لوحدنا.)

أيوب وهو يحدق في المكان الغريب حوله :

(اطلع من دماغي... وسينى في حالى أنا لا عاوز عهدك ولا عاوز منك حاجة)

الظل يقترب خطوة...

خطواته كانت تحدث صوت كأنه صوت تمزّق قماش رطب...

ثم توقف وقال :

(أنا... مش دخيل...أنا اللي كنت هبقى مكانك...

العهد كان اختارني خلاص ... بس أنت...سرقته.)

أيوب يصيح في غضب :

(أنت ليه مش عاوز تفهم ؟! ... أنا ما قصدتش أسرق حاجة !)

الظل ضحك ضحكة جعلت المكان كلّه يرتجّ ثم قال :

(عارف هتقول أيه ... لكن في النهاية حتى ولو مش قصدك أنت اللى فتحت الباب.)

وفى تلك اللحظة في الجانب الأخر ...

و بينما أيوب يواجه الحامل الأول ، كان جسده في الواقع يهتز بقوة !

ساهر وضع يده على جبين أيوب وقال:

(لقد سحبه الحامل الأول لأغوار نفسه... ليواجهه مباشرة بعيد عنا.)

ظافر يسأل في قلق :

(وهل سيتحمل ؟)

نجم يرد:

(ليس أمامه الا النجاة ...فإن هلك عقله...هلك جسده.)

حينها قام مالك بصعوبة من الأرض ثم قال بتصميم :

(افتحوا دائرة الحماية فورًا.)

وعلى الفور ...

أحاط الأربعة بأيوب ، وأرتفع ضوء أبيض فوقه يدور كحلقة.

وأثناء ذلك فى الناحية الأخرى ...

داخل عقل أيوب ...

الظل اقترب من أيوب حتى كاد يلامس وجهه ثم قال :

(سيجبرونك على مقاومتي...وستفشل....

هل تعرف لماذا ؟! ... لأنك خائف مني.)

أيوب، بعينين دامعتين لكن بهما بوادر تصميم :

(أيوه أنا ممكن أكون خايف... بس ده مش معناه إني هسيبك!)

الظل اتسعت ابتسامته ثم قال :

(أتظن الأمانى ...بإمكانها تغيّر الأقدَار؟)

أيوب يصيح بقوة :

(أنت مش قدر!!! ... أنت مجرد لعنة!!!)

في تلك اللحظة ...

ولأول مرة غضب الحامل الأول ...

الظل تغيّر...

اهتزّ...

صار أضخم!

ثم قال بصوت مرعب :

(أنا حامل العهد... أنا الحاضر والماضى والمستقبل ...

وأنت مجرد نكره... بديل لحظى وسينتهى آثره)

ثم مد الظل يده...

وأمسك وجه أيوب من جانبيه بقوة غير بشرية.

فصرخ أيوب بألم وهو يقول :

(سيبنيييي!!!)

وفى الجانب الآخر ...

خارج عقل أيوب ...

انقطعت هالة الحماية البيضاء فجأة المحيطة بأيوب ...

أظلم المكان بظلام دامس !

وفى الناحية الآخرى ...

سمع أيوب صوت مالك يتردد:

(أيوب!!! ... هل تسمعنى ؟!)

أيوب يكافح الألم الذى يشعر به ورد على مالك قائلا :

(أنا سامعك يا مالك ... أنت كمان سامعني؟!)

فصاح الخامل الأول بغضب قائلا :

(اخرس!!! ... أنت في مكاني أنا!!! ...

لا أنت ولا هؤلاء المهرجون الأربعة تستطيعون الوقوف في وجهى هنا)

لكن فجأة ....

ضوء أبيض شقّ الظلام نصفين، ودفع االحامل الأول للخلف.

فصاح مالك مرة أخرى قائلا :

(أيوب!!!... اثبت وإياك أن تخاف!!!)

أيوب بصوت يكافح ليخرجه من حلقه :

(أنا... أنا... بحاول!)

الحامل الأول يعوي كوحش جريح ويقول :

(سأقتلك...وسأخرج ...سأخرج منك ... كامل.)

في تلك اللحظة ...

الضوء الأبيض زاد.

ثم...

انقطع المشهد !

عاد لأيوب وعيه ...

ففتح عينيه فجأة ، وكان حينها يلهث بصوت عالٍ ...

وصدره يؤلمه بشدة، والعرق يغطي وجهه كله.

فقال نجم بسعادة غامرة :

(لقد عاد)

فرد ساهر قائلا :

(لكن لازال الحامل الأول ... داخله.)

فأقترب مالك من أيوب ، وجلس بقربه وقال:

(يا أيوب...هذا أول انتصار لك...لكن الحرب الحقيقة...لم تبدأ بعد.)

أيوب رفع رأسه، وجهه شاحب ، بصوت مجروح يقول:

(هو... قال إنه راجع.)

مالك أغمض عينيه ورد بثبات قائلا :

«وسيظل يعود في كل مرة...إلى أن تنتصر عليه... أو يهزمك)

في تلك اللحظة ...

وقف أيوب وهو يحاول تنظيم أنفاسه ...

ثم قال بصوت أكثر تصميما وقوة :

(وأنا... مش ناوي أخسر.)

الحلقة التاسعة – انفصال الظل!

وما ان أنتهى أيوب من نطق آخر كلماته ، حتى شعر أن الأرض من تحته تتحرك قليلاً... تحركًا خفيفًا...

كأن شيئًا يمر تحت البلاط لا فوقه !

نظر أسفل قدميه.

وجد الضباب يتكثف ويتجمع تحت قدميه...

تحته مباشرة !

فقطع صوت مالك التوتر الذى بدأ يشعر به أيوب وقال :

(تحرك يا أيوب.)

أيوب بصوت متهدج:

(أنا بحاول ... بس مش قادر رجلى كأنها متثبته في الأرض !)

رد مالك قائلا :

(ان الوغد يحاول تسريع الأمور الأن ... سيخرج عبرك بالكامل !.)

شهق أيوب وهو يحاول تحرير قدمه باستماته وقال :

(يخرج منى ؟!)

فقال نجم :

(ليس خروجًا بالمعنى الحرفى الذى فهمته... بل مرحلة تسمى انفصال ظل)

فأضاف ساهر:

(وهذه المرحلة سيأخذ فيها جزءًا منك وجزءًا منه...ويتجسد خارج جسدك لأول مرة.)

أيوب بتوتر وغضب:

(لا... لا... مش عايز دا يحصل!... تعالوا ساعدونى عشان أتحرك ، أنتوا هتتفرجوا عليا ؟!)

ظافر قال بنبرة حاسمة وتحميسيه :

(ليس لنا التدخل في كل الأمور يا فتى ... حرر نفسك... الآن ... هيا !)

أيوب حاول مرة آخرى، لكن بلا فائدة ، قدمه ثابته في الأرض وكأنها جزء منها !

ظل يحاول باستماته لدرجة أن جسده كان يرتجف بعنف...

وكأن كل عضلة فيه ترفض الاستسلام .

وفجأة...

شعر أيوب بحرارة تشتعل في عموده الفقري.

ثم هدأ الألم فجأة كما بدأ فجأة !

واستُبدل بإحساس آخر !

إحساس يشبه خروج شيء من ظهره !

فصاح أيوب في توتر وقلق قائلا :

(إيه دااااا!!! ... أنا حاسس بحاجة بتخرج من ظهرى !)

تجمد نجم في مكانه وهو يحدق بذهول قائلا :

(لقد تسارعت الأحداث بشكل لا يصدق ! ... إنه... يبدأ !)

وفى تلك اللحظة ...

ارتفع قميص أيوب قليلاً من تلقاء نفسه ...

ثم ظهر على ظهره خط أسود رفيع كالخيط ...

ثم تمدّد ، ثم تشقق الجلد تحته !

وأصوات تمزق جلد أيوب تقشعر له الأبدان رغم عدم احساسه بأى ألم !

صوت يشبه تمزيق الورق ببطء.

أيوب يحاول التحرك ، يكافح ويدور حول نفسه ليحرر قدمه ، لكن بلا فائدة !

حتى بنو الهامس الأربعة كانوا كالمقيدين لا يستطيعون التصرف ، ينظرون الى ما يحدث أمامهم في حسرة وانكسار ...

لا يصدقون أن الحامل الأول قام بها بهذه السرعة !

لم يكن مفترض بهذا أن يحدث الأن !

فجأة ...

اندفع ظافر ...

لم يستطع تحمل رؤية أيوب يصارع المجهول منفردا ...

لم يستطع تحمل أن يقف مكتوف الأيدى دون أن يتدخل ...

حتى وأن طالته عواقب ... أي كانت !

أندفع نحوه ومد ذراعه فوق ظهر أيوب ، محاولاً إيقاف تمزق الجلد وتحرير أيوب.

لكن...

لم يستطع ظافر تحريكه خطوة واحده !

والتمزق لم يتوقف ، بل ازداد !

وفى تلك اللحظة ...

خرج ظل أسود،أرفع من الإصبع !

خرج ببطء من بين تمزق الجلد .

ظل...ليس له شكل، ولا ملامح، ولا رأس، ولا أطراف !

مجرد ظل يتحرك كالدخان ، لكن كثافته أثقل من الهواء.

فقال ساهر بلوعة :

(لقد أنفصل ... لقد انفصل الظل)

أيوب يصيح ويضرب بيده في الهواء محاولا التحرر ...

ظافر باستماته شديدة يحاول نزع أيوب المثبت على الأرض لتحريره ...

أما مالك فظل يفكر فيما يستطيع القيام به في تلك اللحظة وهو يحدث نفسه قائلا :

(لماذا يا أيوب ؟!...لقد حذرتك مرارا ألا تخاف ! ...

إنه يخرج الأن بعد أن أزداد قوة بما أعطيته إياه من خوف !)

وأثناء ذلك ...

الظل خرج كاملا !

لم يقف خلفه في ثبات ، بل على العكس ...

التفّ حوله كأنه يدرسه ، يشمّ رائحته !

ثم...

تجمّد !

لم يعد يتحرك ...

أيوب يلهث بقوة بعد محاولاته للتحرر وأخيرا تحرر بعد خروج الظل فسقط أرضا ...

حينها بدأ الظل يأخذ شكلًا ببطء...

لحظات...

وظهر نصف وجه.

لكن ياللعجب !

انه وجه أيوب نفسه !

مظلمًا بالكامل وعينه واحدة مضاءة بلون أبيض بارد !

حدق فيه أيوب وقال:

(دا... دا شبهي!!!!)

فرد عليه مالك قائلا:

(إنه الانفصال...جزءٌ منك تلوّث...وجزءٌ منه تجسّد...فنشأ الظل التابع)

نجم بصوت متوتر قال :

(إذا اكتمل التجسد ...سيصبح له إرادة.)

ساهر يضيف ببطء:

(وإن امتلك إرادة...سيقتل الأصل.)

أيوب بجزع :

(يعني... هيقتلني... أنا؟!)

وفى تلك اللحظة ...

بدأ الظل الشبيه بأيوب يتحرك !

وفتح عينه الواحدة ونظر إليه مباشرة ، ثم مال برأسه قليلًا في حركة بطيئة

تشبه حركة الطيرالجارح الذي يتفحّص فريسته !

أيوب يتراجع في حذر ...

لكن الظل خطا خطوة واحدة نحوه.

خطوة فقط...

ومع تلك الخطوة انطفأت كل أضواء الغرفة وسادت عتمة كاملة.

ومع ذلك الظلام الدامس زاد التوتر ، وأحتقنت الأجواء ...

فبدأ أيوب يصيح قائلا :

(أتصرفوا ... أنا مش شايف حاجة !)

نجم ينادى قائلا :

(مالِك!!! ...)

حينها ...

رفع مالك ذراعه بسرعة وأطلق ضوءًا ذهبيًا ضرب الظل به مباشرة !

وكأنه يراه ويعرف موضعه بالضبط !

لكن للأسف ...الظل لم يسقط !

لم يتأذّ... ولم يتراجع !

بل والأدهى من ذلك انه امتص جزءًا من الضوء كأنه يتغذّى عليه !

أيوب لم يتحمل هذا الكم من الضغط والأحداث المتسارعة...

فأنحنى على ركبتيه واضعًا وجهه بين يديه لا يعرف ماذا يفعل .

وفى نفس الوقت لا يرغب بأن يستسلم للخوف ...

وفى تلك اللحظة ...

وكأن الظروف كلها تحاول أن تجتمع ضده !

بدأ ذلك الصوت الداخلى الذى يسمعه داخل عقله في العودة مرة آخرى !

وكأنه لا يكفيه كل تلك الأحداث !

(قوم...قوم...سيبنا...نكمل اللى بدأناه.»

أيوب بغضب واصرار :

(مش هسيبك... ومش هتكمل !!!)

فجأة ...

الظل توقف...

وتجسده يهتز...

وملامحه الدخانية ترتعش ...

ثم تحرك بسرعة لا تُرى، واندفع نحو سقف الغرفة يحاول أختراقه لكنه لا يستطيع الخروج بالكامل !

فصاح نجم في هلع قائلا :

(إنه يحاول الخروج للقرية!!!)

أيوب قفز واقفًا رغم الألم:

(لا!!! ده لو خرج أكيد هيخوف الناس وممكن يأذيهم !... لازم نتصرف)

مالك أقترب منه وأمسك كتفه بقوة ثم قال :

(إذن أوقفه...أنت الوحيد القادر على ذلك.)

أيوب بتعجب قال:

(أنا؟! ... أنت أيه الثقة اللى واثقها فيا دى ؟! ...ده أنا مش قادر أتنفس أصلاً!)

ساهر قال بجدية:

(لا وقت للمزاح الأن ! ... الظل خرج منك أنت ولن يستمع إلا لك...

لا تنسي أن جزء منه أكتسبه منك ...أمره بأن يتوقّف.)

أيوب بغضب :

(ومين قالك وأكدلك إنه هيسمع كلامي؟!)

ظافر بصوت قاطع:

(لا تكن غبيا يا فتى ... هو جزء منك...

وعليه أن يخضع لك... إن أردتَ هذا فعلاً.)

أيوب يعض على أسنانه...

ينظر إلى الظل الذي يحاول أن يخترق السقف.

ثم قال بصوت مرتفع حاول أن يكون قويا وأكثر إصرارا :

(توقــف!!!!)

وحدث مالم يتوقعه أيوب !!

لقد توقف الظل فورًا.

وكأنه صُدم بيد غير مرئية !

في تلك اللحظة ألتفت الظل ونظر لأيوب ...

عيونهما...التقت لأول مرة بنظرات تحد !

أيوب وهو ينظر في عين الظل مباشرة قال :

(ارجع...ارجع حالًا!)

لكن الظل ابتسم.

ثم قال بصوت يشبه صوت أيوب لكن أجشّ قليلا :

(لأ...)

أهتز أيوب قليلا من داخله وهو مذهول ...

بنو الهامس يتجمدون.

الظل ينحني ويستعد للانقضاض !

مالك يصيح في غضب :

(لقد حصل على إرادته!!!)

ساهر في توتر :

(الآن... لن يستمع لأحد !)

وأيوب...

بصوت يكاد لا يُسمع:

(مستحيل ! ... دا سمع كلامى في الأول ! ... ووقف فعلا ...

فيه حاجة غلط ... فيه حاجه مش مفهومة بتحصل ! ولازم أفهمها ...

مش هقبل فشل جديد .)

الحلقة العاشرة – مُطاردة الظل

لم يكن الصمت في غرفة أيوب يشبه أي صمت سبق !

فالصمت الآن لم يكن هدوءًا...

بل كان ترقّب مخلوق جديد

خرج للتو من رحم خطيئة أيوب الأولى !

الظل يقف على السقف ، جسده يهتز، وعينه الوحيدة اللامعة تراقب كل شيء حولها كحيوان يتربص لفريسته .

رفع مالك يده ببطء وقال بنبرة تحذير:

(أيوب ... لا تيأس ان فقط يختبر قوته الجديدة.)

أيوب يهمس بصوت مخنوق:

(هو... ليه رفض يسمع كلامى ؟! ، مع أن المفروض هو شبهى وجزء منى !)

نجم يردّ بنبرة فصيحة باردة:

(ببساطة لأنه فقط نشأ منك... لا لك.)

أيوب ينظر إليه بعدم فهم وقال :

(يعني إيه؟!)

ساهر يتقدم خطوة، وعيناه تراقبان الظل ثم قال :

(لقد أخذ من خوفك أكثر مما أخذ من إرادتك ، فصار الخوفُ هو سيده... لا أنت.)

أما ظافر فأضاف :

(والخوفُ لا يسمع إلا لنفسه.)

أيوب يجز على أسنانه غيظا ويقول :

(يعني... أنا اللي عملته... ومش قادر أسيطر عليه؟!)

فقال مالك :

(أيوب إنّه ظلّك...وليس عبدك.)

حينها وفى أثناء ذلك ...

لم ينتظر الظل مزيدًا من الكلمات.

بل التفّ كالشرارة السوداء وانطلق نحو النافذة بسرعة تشبه السهم !

لم تصدر النافذة صوتًا حين اخترقها ...

لا زجاج تحطّم، ولا خشب تصدّع...

بل عبر الظل كأنه ضوء... أو مجرد دخان كثيف !

أيوب يصيح في جزع :

(الحقوا ... دا هــرب!!!)

نجم بصوت حاسم:

«إذن لقد بدأ جولته الأولى...»

فأقترب مالك من أيوب وهو ينظر له بثبات:

(إن خرج الظلّ حرًّا...فلن يعود إلا بعد أن يترك فعلاً.)

أيوب بتوتر:

(فعل؟! ... فعل إيه؟!)

ظافر:

(أي تصرف... تحركات ، أذى ، وقد يكون... دماً.)

أيوب في هلع :

(لاااا!!! .. دم ؟..هى وصلت للدم ؟! .. الناس مالهاش ذنب الغلطة غلطتى من البداية .)

وفى تلك اللحظة...

وما ان انتهى أيوب من آخر كلماته اندفع مسرعا خارج باب البيت...

والريح الباردة تضرب وجهه ، والضباب ممتد على طول الطريق الرئيسي...

كان الليل في الخارج يبدو مختلفًا.

ليس لأنه مظلم...

بل لأن الظلام نفسه يبدو حيًا !

أيوب يبحث حوله عن ظله وقال:

(هو فين؟!)

فرد مالك قائلا :

(إنه يتحرك كالنَفَس...لا يُرى إلا حين يريد أن يُرى.)

أيوب يردّ بضيق:

(طيب وهنعمل إيه؟!)

نجم يضع يده على الأرض، وكأنه يقرأ أثرًا خفيًا ثم قال :

(أستطيع تتبعه وسنسير خلفه...

ولكن تذكر جيدا... لن نوقفه قبل أن يحاول القيام بفعل.)

أيوب بضيق :

(ليه؟!! ... أيه اللى يخلينا نصبر لحد ما يبدأ يعمل مصيبة ؟! ...

دا كدا ممكن يأذي حد!)

ساهر ينظر إليه بحدة:

(لأنك إن أوقفته قبل فعله...سيظن أنك تخشاه وسيتأكد حينها انه أقوى منك،

وسيتمرد عليك إلى الأبد.)

أيوب يرد مذهولاً :

(يعني لازم أسيبه يعمل مصيبة الأول؟!)

ظافر:

«ليست مصيبة...بل محاولة... »

أيوب بسخرية :

(وإيه الفرق؟!... المشكلة يعنى في الأسم ؟!)

فرد مالك بصرامة:

(أنت تجادل بكثرة ! ... هناك بالطبع فرق كبير ...

سنمنعه أثناء محاولته ، لا بعد قيامه بفعلته... هل فهمت الأن ؟!)

فجأة ...

توقف أيوب وهو يحدق بعينيه في نقطة أمامه على بعد أمتار قليلة ...

فعلى الأرض...

وبالتحديد تحت عمود النور القديم...

توجد بصمة سوداء، تشبه آثار قدمه هو،لكن أكبر قليلًا ...

أيوب ينحني ليراها عن قرب ثم قال :

(دا أثره؟! ... هو أكيد قريب من هنا يلا نلحقه قبل ما يقابل حد ، أو حد يشوفه !)

وفى تلك اللحظة...

أشار ظافر بيده للأمام وقال :

(إنه... هناك.)

حينها وفى تلك اللحظة تحققت مخاوف أيوب بالضبط !

فعندما أشار ظافر وقال انه هناك ... لم يكن يقصد الظل !

لقد رأى ظافر أحد سكان القرية ...

وهو عائد في هذا الوقت المتأخر...

وكان يعلم جيدا أن الظل لن يترك تلك الفرصة تمر مرور الكرام...

فتوقع ظهوره !

وبالفعل ...

كما توقع ظافر !

فالظلّ ظهر أمام الشاب فجأة...

في وسط الطريق ، دون مقدمات، وكأنه خرج من الهواء !

فتجمّد الشاب في مكانه وقال برعب :

(أعوذ بالله .. أعوذ بالله إ... إنت مين؟)

صوته كان يرتجف بشدة.

فرفع الظل رأسه ببطء ، وعينه البيضاء الوحيدة تلمع ...

وهو يتقدم خطوة نحو الشاب الذى صرخ في جزع :

(الحقونى .... عفريت ياناس ... يا جدعاان حد يلحقنى !!!!)

هرول أيوب نحو الشاب سريعا وعندما أقترب منه وضحت ملامحه فعرفه على الفور ، فصاح قائلا :

(اهرب يا خاااالد ... اجري!!)

لكن خالد تجمد !

لم يستطع الحركة ولا النطق من الخوف.

حينها مدّ الظل يده السوداء ...

ويده تتمدد...أطول...وأطول...

وهى تقترب من خالد !

فحاول أيوب أن يهرول نحو خالد وهو يصيح في رعب :

(أهرب يا خاااالد!!! ... أتحرررررك !)

فأوقفه مالك وهو يقول محذرا :

(لا تتدخل!!! ... ليس بعد!!!)

فرد أيوب في غضب :

(هيموّته يا مالك!!!)

ساهر بنبرة ثابتة :

(إن أردته أن يطيعك...اتركه يختبر إرادته...واختبر أنت خوفك.)

أيوب بعصبية:

(أنا... هموت من الخوف أصلاً!!)

وفى تلك اللحظة ...

يد الظل التي كانت تتمدد وصلت إلى خالد...

فصرخ خالد صرخة شقت الليل !

وأيوب في تلك اللحظة ...

صرخ أيضا بغضب...

صرخة خرجت من أعماق صدره قائلا :

(كـــفـــــــايـــــة!!!!!)

وعلى الفور ...

تجمد الظل !

فنظر بنو الهامس الأربعة لأنفسه ثم لأيوب بسعادة !

سقط خالد على الأرض وهو يلهث، لا يصدق ما يحدث وما يراه أمامه !

فهمس مالك لأيوب قائلا :

(الآن... تدخل.)

وعلى الفور أندفع أيوب نحو الظل ...

وقطع المسافة في لحظات معدودة ...

وما ان وقف أمام الظل ، حتى صاح فيه بقوة قائلا :

(مالكش دعوة بحد ... أنا السبب من البداية ...

لو عاوز تواجه حد واجهنى أنا ... لو تقدر)

رفع الظل رأسه ببطء...

وأقترب من أيوب ...

ثم مال برأسه نحوه وأبتسم بنفس الابتسامة المرعبة...

والتي طوال الأحداث السابقة ... لم تكن تنبئ بخير... أبدا !

الحلقة الحادية عشرة – الإرادة

الابتسامة التي ارتسمت على وجه الظل لم تكن بشرية أبدا !!

كانت شبه انفراجة شريرة،تتمدد على وجهه بشكل خاطئ !

وكأن ملامحه نفسها غير قادرة على تحملها !

أيوب وعلى الرغم من كل هذا الرعب ثبت في مكانه.

ومالك يقف خلفه ويقول بهدوء عميق:

(إيّاك أن تُظهر له تردّدًا...فهو يتغذّى على مشاعرك.»

أما ساهر فأضاف بتأكيد :

(اثبت... فهو الآن بين أمرين : أن يطيعك... أو أن يبتلعك.)

رد أيوب دون أن يلتفت نحوهما :

(أنا خايف فعلا ... لكن خلاص أنا حاسس أن بقيت قادر ما أبينش خوفى وأسيطر على نفسي)

نجم يردّ بهدوء :

(أحسنت ... الخوف فيك لا يُضير...المهم ألا يراك خائفًا.)

الظل يقترب أكثر من أيوب ...

خطواته البطيئة تلك تبث الرعب والتوتر في قلب أيوب أكثر من ملامحه !

أما خالد الواقع أرضا ، يزحف مبتعدا على أربع وهو بيبكي قائلا :

(إيييييييه دا يا إيييييييووب؟! ... انت بقيت مخاوى ؟! ... دا عفرييييت؟!)

أيوب يصيح فيه دون أن يلتفت نحوه قائلا :

(امشي يا خالد!!! امشي حالًا مش وقت كلام دلوقتى !!!)

فقام خالد بعد أن أبتعد زحفا لعدة أمتار وهرب مسرعا دون أن ينظر خلفه ...

بدأت الأجواء تصبح خانقة ... والهواء صار أثقل !

والضباب تجمع حول أيوب والظل، وكأنهم يقفون داخل دائرة محددة.

حينها لمح أيوب صدر الظل يتحرك بانتظام ...

فقال محدثا نفسه :

انه يتنفس؟! ... مستحيل...كيف لظل أن يتنفس ؟!)

تنفس أيوب بعمق وأستجمع شجاعته وقال للظل :

(إنت... عايز مني إيه؟)

الظل ألتف برقبته بحركة حادة ونطق قائلا :

(أَنت... الباب.)

ساد الصمت للحظات وأيوب يحدق بالظل ثم قال :

(تقصد إيه؟!)

فرد الظل قائلا :

(الباب... المفتوح... بالغلط.)

فتدخل مالك فورًا محذرا أيوب :

(لا تتفاعل مع عباراته...إنه لا يعي ما يقول... بل يعكس فقط ما في داخلك أنت .)

أيوب همس لمالك بسخرية قائلا :

(ماهو كل اللي جوايا دلوقتي خوف وقلق وتوتر وليلة كبيرة ...

يعني دا هيبقى كويس؟!)

ظافر بنبرة صارمة غاضبة :

(اضبط نفسك يا أيوب!)

أما ساهر فتقدم قليلًا في حذر، وبصوت منخفض همس لأيوب :

(تذكر إنه يقرأ خوفك...ومتى قرأه، صار أقوى.)

أيوب يضرب كف على كف في حركة لا ارادية وقال في غضب :

(طيب وأنا أعمل إيه؟!... هو بأيدى؟! ... دى مشاعر لا ارادية ....

مافيش حل غير أنتحر واريحكم وأرتاح ونخلص !)

نجم يردّ عليه بغضب حاول ألا يظهره :

(لا لن تحتاج للانتحار ... فقط كن ذو إرادة ...أعد ضبط إرادتك.)

أيوب وهو يتمتم في غضب :

(إرادتي؟! ... كل شوية ارادتك ... ارادتك)

فرد مالك قائلا:

(أسمع يا أيوب ... أنا أعلم أن الأمور كلها صعبة وأكبر من قدراتك من البداية ...

وهذا طبيعى ،لكن مع الوقت تكتسب قوة وتكتسب خبرة وقدرة على التعامل مع هذه الأمور.

لكن أنت وحدك من يوقفه...لأنه خرج من خطئك أنت...وإن صححت خطأك، خضع لك.)

في تلك اللحظة ...

تحرك الظل فجأة...

وأقترب من أيوب حتى كاد وجهه يلامس وجه أيوب...

فضغط أيوب على أسنانه محاولا كبت التوتر والخوف وقال بقوة :

(إبعد...)

ويالللعجب ...!

لقد أستمع له الظل...

ورجع خطوة صغيرة للوراء !

ساهر بحماس :

(ها قد بدأ...إنه يستمع.)

أيوب بذهول:

(يعني دلوقتى ... صوتى هو اللى بيتحكم فيه ؟)

نجم وهو يحدق في الظل :

(ليس صوتك...بل عزمك... لقد فعلتها يا فتى ... لا تتراجع)

وفى تلك اللحظة ...

أستغل الظل انشغال أيوب عنه للحظات ورفع يده ولمس صدره...

حينها ...

بدأت تشققات سوداء تظهر على جلده مثل حبر قد أنفجر تحت سطح الماء !

فصاح أيوب بصوت عالي:

(مالك!!!)

فرد عليه مالك وهو ينظر اليه بأسي :

(إنه... يتهيّأ للتحوّل الأول.)

شعر أيوب بالجزع الا أنه تماسك في آخر لحظة حتى لا يقوى الظل بخوفه مرة آخرى ...

فرد بهدوء مصطنع :

(تحوّل؟! ... يتحوّل لإيه تانى ؟!)

فرد عليه ساهر:

(لِما كان سيصبح عليه ...لو لم تخطئ في الرمز.)

أيوب بضيق حاول أن يكتمه :

(مش هنخلص أبدا من الغلطة دى !! ...

طيب ما أنا قولت قبل كدا أنا ماكنتش فاهم إنّي غلطت؟!)

فردّ ظافر بصرامة:

(جهلك... لا يُسقط عنك التبعة.)

تغيرت ملامح أيوب للضيق ثم رد بنبرة ساخرة قائلا :

(ماشي يا عم القاضي... المهم هنعمل إيه دلوقتي؟!)

فرد نجم بصرامه قائلا :

(عليك أن تمنعه ! ، فإن لم تمنعه من التحوّل... سيتحوّل إلى ظلّ غير قابل للإعادة.)

فقال أيوب:

(طيب وايه الفايدة ، ما انا حتى ولو منعته هيفضل زى ما هو كدا دلوقتى)

فقال ساهر بغضب :

(أيها الذكى ان لم تمنعه من التحول سيصبح شيئًا آخر... أشرس... ولاقبل لك به!)

أيوب يتمتم بخوف يحاول أن يخفيه وقال :

(ماهو أنا مش عايزه يتحوّل!!!)

سمعه مالك رغم خفوت صوته ورد قائلا بتصميم :

(إذن... فلتمنعه.)

لحظات مرت على أيوب كأنها الدهر ، وهو يفكر في كلامهم ...

ماذا سيفعل مع هذا المسخ المشوه ليمنعه ؟!

كان يفكر وهو ينظر الى التشققات السوداء التي تزيد وتتمدد على جلده ...

حتى وجد حلا !

أو بالأحرى لم يجد غيره !

المواجهة ... وليكن ما يكون !

فلن يخسر أكثر مما قد يخسره ان تحول ذلك المسخ لنسخة أكثر ضراوة وقوة ...

حينها أخذ أيوب نفسا عميقا وتقدم هو نحو الظل !

لا تتعجبوا !!

أحيانا الخوف يصبح دافعا للتقدم ويكون نواة لشجاعة لاحقة !

وهو ماحدث بالضبط مع أيوب ...

الذى تقدم نحوه وعلى وجهه ملامح الصرامة ...

حتى توقف أمام الظل ولا يفصله عنه الا سنتيمترات معدودة !

ظل الظل يحدق فيه بعينه الواحدة اللامعة دون حركة أو رد فعل للحظات ...

وكأنه يقرأه ...

يحاول أن يجد أي مشاعر يتغذى عليها ...

ويبدو انه لم يجد !

لأن في تلك اللحظة صرخ الظل ...

فتشققت الأرض تحت قدميه...

وفجأة ...

بدأت مناطق من تجسده تتحول لسائل أسود !

والأغرب أن هذا السائل بعدها يتكثف ويعود ليتشكل من جديد !

وفى تلك اللحظة شعر أيوب باهتزاز الأرض تحت قدميه ...

فصاح مالك مشجعا إياه :

(اثبت!!! ... إن تراجعت الآن...سيملكك.)

أخذ أيوب عميقا وكأنه يستجمع قوته وشجاعته ورفع صوته قائلا :

(توقف!!!!)

تجمد الظل ...

تحمس أيوب فهو يشعر الأن أن فكرته بدأت تنجح فأردف قائلا :

(ماتتحركش!!!!)

والظل...

حينها وللمرة الأولى...

ينصاع تمامًا لأيوب !

ابتسم مالك ابتسامة رضاء خفيفة ثم أغمض عينيه وهمس قائلا :

(لقد كسرتَ للتو أوّل شِقّ في إرادته.)

فأقترب نجم من مالك وهو يضع يده على كتفه وقال :

(لكن الأمر ليس بلا ثمن ياصديقي.)

سمعه أيوب فقال بذهول :

(تمن ؟ ... تمن أيه ؟! ... يعني إيه اللى بتقوله دا أنا مش مرتاح لكلامك ؟!)

ساهر ينظر للظل ثم لأيوب وقال بصوت منخفض :

(كلما سيطرتَ عليه...أخذ منك شيئًا.)

أيوب بضيق وأرتباك :

(هو فيه أيه ؟! ... ليه مش بتقولوا كل حاجه مرة واحدة ؟! ...

ليه بحس أنكم بتتعمدوا تفاجأونى ؟! .... وياترى هياخد مني أيه بقي ؟!)

فرد ظافر بايجاز قائلا :

(جزءًا من إرادتك...لكي يثبت وجوده.)

فرد أيوب بنبرة جمعت بين الضيق والسخرية :

(ياااسلاااام ... يعني أنا كدا بخسر كل ما بكسبه؟! ... طيب وأيه الفايدة كدا في الجنون دا؟!)

وفى تلك اللحظة ...

وقبل أن يرد أحدهم على أيوب ...

تحرك الظل فجأة ورفع راسه نحو السماء...

وبدأ يشم الأجواء حوله ككلب يبحث في الأرجاء عن ضالته باستخدام الرائحة !

فهمس أيوب قائلا :

(مالك... انت شايف اللى بيحصل ؟!)

فقال مالك وهو يحدق في الظل بتوتر قائلا :

(ما سيأتي...ليس من عالمكم.)

فقال أيوب برهبة :

(مين دا اللى هيجى كمان؟! ... هو أنا ناقص ؟!)

فقال ساهر:

(لقد تحرّك الحامل الأول...)

تجمد أيوب مكانه ولم ينطق حرفا واحدا وكأنه فقد النطق !

فأردف ظافر وهو يقترب من أيوب بحذر :

(الحامل الأول ...لن يسمح بسهولة بالهزيمة.)

فنطق أيوب أخيرا وقال بقلق واضح :

(يعني... هو جاي لما حس أنى سيطرت على الظل ؟)

فرد عليه مالك برد جعل قلب أيوب يسقط تحت قدميه قائلا :

(لقد جاء بالفعل !)

الحلقة الثانية عشر – الحامل الأوّل

كان الليل حينها يزداد ثِقَلًا فوق القرية...

وكأن السماء تُسدل ثوبًا أسود لا يسمح بمرور أي ضوء !

الضباب لم يَعُد مجرّد ضباب...

بل صار ينتشر ببطء محسوب، كأنه يبحث عن شيء أو يسبق شيئًا قادمًا !

أما الظل الواقف أمام أيوب، مجمدا محملقا في السماء !

فقد أصبح أكثر صلابة من ذي قبل، وكأن الانصياع الذي أبداه قبل لحظاتٍ لم يكن ضعفًا...

بل بداية تشكّل جديد !

مالك تقدّم خطوة واحدة، ونظره ثابت على الأفق المعتم في السماء وقال :

«لقد تحرّك حامل العهد المظلم...»

قالها بصوت منخفض، لكنه حمل ثِقلًا واضحا جدا .

ساهر أكمل بنبرة أكثر حدّة:

(وما تحرّك إلّا بعد أن شعر بالخطر... لم يتوقع نجاح أيوب أو تفوقه على ظله !.)

أيوب الذي يقف في مواجهة الظل قال :

(أنا مش فاهم لحد دلوقتى الحامل الأول دا بيعادينى باستماته كدا ليه؟!

أنا أصلا ماعرفش أنا اخدت منه اللى بيقول عليه دا أزاى ؟!

ولا حتى أعرف أيه أستخدام اللى أخدته منه ولا طبيعته ولا شكله ؟!)

فأجابه ظافر دون أن يلتفت إليه:

(أخطأت في الرمز... ففتحت مسارًا لم يكن لك أن تمسّه...

فأرتدّ العهد المظلم إليك، بعد أن كان راسخًا في حاملٍ آخر...

هذا الكائن لا يعرف الرحمة ولا ينسى ما سُلب منه.)

أيوب يصرخ وقد بدأ الغضب يختلط بالخوف:

(أنا زهقت من كتر ما قولت انى ماقصدش...انا أصلا ماكنتش فاهم)

نجم ينظر إليه ورد بتحد واضح :

(ونحن قولناها لك مرارا وتكرارا ... الجهل لا يُسقط الثمن...

وللعلم ما رأيته حتى الأن جزءًا بسيطًا فقط مما سيأتي.)

فجأة...

ارتعش الظل الواقف إلى جانب أيوب.

وصوتٌ يشبه تمزّق القماش كان يصدر من جسده !

وتشققات جديدة ظهرت على صدره، كانت تشع بضوء أبيض ثم انطفأت، كأنها نبضة مظلمة تتشكّل وتموت في لحظتها !

أيوب يتراجع للخلف في توتر ...

وتمتم مالك قائلا :

(الحامل القديم... اقترب.)

وبعد عدة لحظات مرت بيت الترقب والقلق ...

برد الهواء فجأة بشدة...

والضباب بدأ يتجمع كأنه كيان واحد !

أندفع ظافر نحو أيوب في تحفز وهو يقول :

(لقد وصل.)

بعدها ...

سمعوا جميعا صوت خافت يشبه احتكاك الحديد بالحديد...

ثم صرير طويل...

ثم سكون تام...

وفجأة...

أنخفض الظلّ بجسده، كأنه ينحني لقوة أعلى !

ثم صوتٌ آخر...

صوت ثقيل...

كأن خطواتٍ تُسمع عبر الأرض وليس فوقها !

كل خطوة تجعل كانت تجعل الأرض تهتز،والضباب ينسحب كأنه يخشى التلامس مع القادم!

وفى أثناء تلك اللحظات المرعبة...

نادى صوت على أيوب...

صوت كفيل بأن يسقط قلبه تحت قدميه رعبا !

لم يكن صوتًا بشريًا،ولا حتى يشبه أصوات بني الهامس الأربعة.

بل كان صوتًا عميقًا...

قادمًا من أسفل الأرض...

ثقيلاً لدرجة أنّ الهواء نفسه بدا عاجزًا عن حمله !

(أيّووووووب...)

أبتلع أيوب ريقه بصعوبة ، والكلمات توقفت في حلقه !

قبل أن يتمتم بصوت مرتعش قائلا :

(إيه الصوت دا...؟!)

مالك يرفع يده يحاول تثبيته قائلا :

(تماسك ... ولا تجزع)

ثم عاد الصوت مرة أخرى يقول :

(ما كان لك...أن... تمسّه يا فتى)

أيوب يصيح في هلع مشوب بالغضب :

(أنا ... ماقصدتش ... ماقصدتش أخد حاجة !!!)

وفى تلك اللحظة...

تحرك الظلّ الواقف بجانبه فجأة ، ووضع يده السوداء على صدر أيوب...

لم يضغط...لكن البرودة كانت كافية لتجمّد أنفاسه !

تحامل أيوب على نفسه من شدة الألم ...

ثم ...

صاح بقوة قائلا :

(ابعد عنى!)

فتراجع الظل وتجمد في مكانه .

وظل أيوب يلهث وكأنه أستكاع للتو فقط التقاط أنفاسه ...

فقال ساهر :

«لقد كان يحاول التواصل مع الحامل الأول...

فالعهد الأحداث في تلك الليلة المرعبة ...

فعلى بعد أمتار معدودة ...

خرج من قلب الضباب كائن بشع !

تجسّد في هيئة طويلة...

أعلى من الظل الأول...

أعرض...وأكثر ثباتًا.

كان له وجه بلا ملامح...

له عين واحدة فقط موضعها أعلى الجبهة...

مفتوحة دون جفن ...

أيوب في جزع :

(يااا نهار أسود!... ايه المخلوق دا ؟!)

فهمس مالك دون أن يشيح بناظريه عن ذلك الكائن :

(هو الذي خُلع عنه العهد...انه الحامل الأول.)

ظافر ينحني نحو أيوب قليلًا محاولا حمايته وهو يزمجر زمجرة تحذيرية في خفوت...

بينما همس ساهر قائلا :

(لقد تسارعت الأحداث كثيرا والمواجهة الأخيرة... باتت وشيكة.)

فقال نجم موجها كلامه لأيوب :

(لا تخشاه ... وتشجع فبالأخير إنّه لا يريد قتلك يا أيوب...

بل يريد ما في داخلك...)

أيوب بصوت مختنق:

(والله ماعندى مشكلة لو يقدر ياخده ياخده... أنا مش عايزه أصلاً!)

فنهره مالك بغضب قائلا :

(لا تكن أنانيا ! ... واياك أن تفكر مجرد التفكير في ذلك ! ...

لا تنساق وراء خوفك وتدمر عالمك وعالمنا بلا فائدة !)

وفى تلك اللحظة ...

نظر الحامل الأول مباشرة إلى أيوب...

وكأنه يرفض ما يقوله مالك لأيوب !

وعينه الوحيدة تتمدد ببطء كأنها تتسع لترى داخله...

ثم نطق قائلا :

(أعد...ما سُرق...والا ...ستندم !)

أستجمع أيوب شجاعته وصاح قائلا :

(قولت ... مليون ... مرة ... ماسرقتش حاااجة ...

وأنا مش خايف ومش هندم)

فنزل الكائن برأسه وأقترب من أيوب حتى لفحت أنفاسه وجهه وقال :

(بل ستندم أيها الفانى ... أنت ... وأمك !)

تجمد أيوب مكانه من وقع كلمة (وأمك) التي قالها ذلك المسخ !

أمه التي يخشي عليها تبعات هذا كله من البداية !

أمه التي من ليلتين فقط كادت أن تفقد حياتها فقط من شدة الرعب بسبب العلامة على الجدار

فهل ستتحمل تلك الأحداث ، وهذه الكائنات !

فنظر أيوب نحو مالك نظرة يطلب بها النجدة والمساعدة !

بينما ذلك المسخ ينظر له مبتسما بسخرية وهو يشعر بلذة الانتصار !

الحلقة الثالثة عشر – محاولة الإغلاق

في تلك اللحظة ...

كان الجوّ قد أزداد اختناقًا بالفعل...

والضباب لم يكن مجرد ضباب بعد الآن ، بل بدا كائنًا يحاصر كل زاوية !

ويُخفي خلفه شيئًا أكبر...

شيئ ينتظر اللحظة المناسبة ليبدأ الخطوة التالية.

الكيان الذي يقف مبتسما بسخرية وقف ثابتًا مثل تمثال نُحت من الظلّ الخالص...

وعينه الوحيدة تلمع بضوء ثابت كأنه شعلة نار موضوعة داخل حفرة عميقة.

وأيوب ...

قلبه ينتفض رعبا من وقع كلمات المسخ الواقف أمامه جراء ذكره لأمه...

وبصوت يرتعش قال :

(مالك... أمى !! ...أمى ماينفعش يحصلها حاجة ..)

نظر مالك لعينيه مباشرة ، وأشتعلت عيناه بلون أصفر ذهبي ...

وفجأة ...

سمع أيوب صوت مالك في ذهنه يقول :

(أتواصل معك الأن ذهنيا يا أيوب حتى لا يسمعنا الحامل الأول ...

لا تقلق على أمك ... لم نكن لنسمح أبدا بأذيتها ...

فنحن نعلم جيدا أنهم سيستغلونها كنقطة ضعف لجعلك ترضخ لارادتهم ! ...)

ظهرت ملامح الراحة على وجه أيوب في صورة دموع كانت مكبوتة وخرجت من مقلتيه بهدوء ، وابتسامة خفيفة أرتسمت على وجهه وقال ذهنيا لمالك :

(طمنت قلبي الله يطمن قلبك ، بس هتتصرف أزاى ماهى ماتنفعش تشوفك برضوا يا مالك؟)

فرد عليه مالك ذهنيا وقال :

(يا أيوب ... أمك تحت حمايتنا منذ ذلك اليوم الذى رأت فيه العلامة وجعلناها تنسي تلك الذكرى ... ومنذ أن جعلتك تحملها لغرفتها فهى لم تخرج منها ولم تفق أصلا من سباتها)

ظهرت ملامح الدهشة على وجه أيوب قبل أن يرد ذهنيا على مالك ويقول :

(مافاقتش أزاى ؟! ... أمال مين اللى بشوفها اليومين اللى فاتوا دول في البيت ؟!)

فرد عليه مالك قائلا :

(ماتراه في البيت هو أحد أتباعى من بنى الهامس تجسد في صورتها ...

خدعة منا للحامل الأول وأتباعه حتى يظلوا معتقدين أن أمك موجودة بشكل طبيعى في البيت

وتكون أمك الحقيقية أكثر أمانا ...لا تقلق يا أيوب أمك عندما كنت أمحو ذاكرتها وضعتها في حالة النوم الرابع لتكون في أمان بعالمنا ، وجسدها محاط بهالة تخفيه عن عيون الحامل الأول وأتباعه وحوله أيضا حراسة كبيرة من أتباعنا)

فتنفس أيوب الصعداء وعادت الابتسامة على وجهه مرة آخرى وقال ذهنيا لمالك :

(شكرا يا مالك ... أنا مش عارف أقول أيه بعد اللى عملته دا)

فرد مالك قائلا :

(أنت مهم لدينا يا نسل الوسيط ورابط العهد بيننا وبين عائلتك يحتم علينا حمايتك وحماية عائلتك الى الأبد ... المهم الأن حاول أن تتعامل بشكل طبيعى حتى لا يشك الحامل الأول)

وبعدها بلحظة واحدة ...

قال أيوب بضيق وتوتر مصطنعين :

(مااالك ! ... أنت سامع اللى بيقوله ؟! ... أنا ماعملتش حاجة !)

مالك لم يرفع عينيه وقال بيأس مصطنع :

(إنّه يطالب بما يخصّه...فالعهد الذي انحرف، كان ممهورًا باسمه...

وأنت أخذته دون إذن.)

فصاح أيوب :

(أنا ماخدتش حاجة! دى مجرد غلطة يا جماعة!)

ساهر يجيبه دون انفعال:

(لكنّ الرمز الذي لم تفهمه...فتح طريقًا كان مغلقًا منذ قرون...

وانهمرت منه قوة لا قدرة لك على صدّها.)

فتمتم ظافر لنجم وهو ينظر للحامل الأول :

(ان نطق اسمه الآن... سينهار ما تبقّى من الحاجز.)

فرد نجم بصوت خافت قائلا :

(لا يجب أن يحدث هذا الأن ... ليس بعد...)

فجأة ...

بدأت العلامة السوداء على ذراع أيوب تنبض !

تنبض كما لو كانت قلبًا آخر داخل جلده !

فصاح أيوب وهو يتألم قائلا :

(أاااااااااه ... ألم صعب يامالك ... مش قادر أتحمل !)

حينها كان المسخ ينظر اليهم بعنفوان وقوة وغرور ...

نظرة مسيطر على مجريات الأمور !

فأندفع مالك نحو أيوب وأمسك ذراعه بقوة وقال :

(تشجع يا فتى ... وأصبر ...هذا ليس ألمًا...إنها مقاومة العهد المظلم...

إنّه يشعر بأن صاحبه الأصلي قريب.)

ساهر يقترب خطوة منهما ثم قال :

(إن لم نتصرف الآن...سيفتح العهد نفسه،وسيبتلع أيوب كما ابتلع غيره.)

وفى تلك اللحظة ...

الظلّ – شبيه أيوب - انحنى أمام الحامل الأول، ثم وقف خلفه صامتًا، كأنهما أصبحا واحدًا.

أيوب بصوت مختنق من الألم :

(طيب وهياخد عهده من جوايا ازاى يا مالك ؟! فهمنى أنا بموت من الألم)

بدأ ظافر يشعر بالخطر الذى يحيط بأيوب فزمجر وتحفز لأى خطوة مباغتة من الحامل الأول أو ظل أيوب ...

ثم رفع يده، التي تجمعت الظلال حولها وكأنه يستجمع طاقة وقوى من عالم آخر !

أما مالك فقال بصوت حاول أن يكون هادئا حتى يخفف من توتر أيوب :

(تشجع يا صديق ... هو حضر الأن لأن العهد في داخلك...ولن يخرج إلا بطقس مُعاكس.)

فأكمل ساهر قائلا :

(طقس لا يُجرى عادة إلا بحضور الحامل القديم...وقد حضر بالفعل.)

أيوب يصيح متألما :

(حضور الحامل الأول ؟!!...أنا مش فاهم يعني هو اللى جاى يعمل الطقس دا ؟...

طيب أزاى ؟! ... عموما مش مشكلة المهم يطلع الكابوس اللي جوايا)

فرد مالك:

(حاول أن تفهم حتى تعرف ما تواجهه بالضبط ...

ان ما بداخلك ليس مجرد كابوس...بل قوة ضائعة تبحث عن موطنها.)

فنظر اليه أيوب بدهشة يشوبها الألم :

(أفهم من كدا ..أن اللى بيحصل دا كله من ترتيبكم أنتم ؟! .. أنتم اللى حضرتوه ؟!)

فنظر له مالك نظرة حانية وقال :

(ستفهم كل شيء... الأن !)

ومع آخر كلمة نطقها مالك (الأن)

يقف الأربعة حول أيوب وكأنهم قد أتفقوا مسبقا على هذا !

مالك عن يمينه ، ساهر عن يساره، نجم خلفه،وظافر أمامه.

والحامل الأول يقف خارج الدائرة، مندهشا مما يحدث يراقبهم بعينه الوحيدة في قلق !

فرفع ساهر يده وقال :

(لتنكمش البوابة...ولتنغلق الخطوة الأولى.)

صوت صراخ حاد يصدح في الأجواء ...

من آخر مكان توقعه أيوب ...

من العلامة التي على ذراعه !

كانت تصرخ بصوت حاد كأنها تُمزَّق بشفرة حادة.

فصرخ أيوب وسقط على ركبتيه من شدة الألم !

ألم لا يحتمل كان يشعر به أيوب في تلك اللحظة ، كان كافيا ليتمنى أن يموت ليرتاح من شدته !

فوضع مالك يده على صدره وقال :

(تحمّل يا فتى ... ليس أمامنا وقت طويل قبل أن يفهم الحامل الأول ما يحدث ، وحينها سيصارع من أجل الغاء الطقس المعاكس ! ...

لأننا إن لم تُغلق الخطوة الأولى،ستفتح الخطوة الثالثة...وتلك لا بقاء بعدها لك ولا لنا.)

وبعدها مباشرة ...

نطق ظافر جملة أخرى بلغة لم يفهمها أيوب !

لغة الهامس، لغة مقفلة لا تُنطق إلا في الطقوس الكبرى !

الأرض بدأت تهتز.

والعلامة على ذراع أيوب تتلوى كأن كائنًا يحاول الهرب من داخلها !

والحامل الأول بدأ يفهم ما يحدث وحاول الانقضاض عليهم لكن هناك ما يكبله بالأرض !

لم يستطع الحركة ، فظل يزمجر متوعدا أيوب وبنو الهامس ...

أما الظل خلفه فكان يبدو عليه الضعف لدرجة انه سقط على ركبتيه وقدماه لا تحملانه !

لم يلتفت لهما مالك ولا باقى بنى الهامس الثلاثة وأكملوا عملهم ...

فتمتم نجم :

(أغلق...أغلق...أغلق...)

لكن...

فجأة ...

العلامة على ذراع أيوب بدل من أن تنكمش تنفجر بضوء أسود!

وتخرج منها يد سوداء تمسك يد أيوب للحظة قبل أن تختفي مرة آخرى في جسده!

أيوب يسقط أرضًا، يتلوى كأنه أصيب بصاعقة.

فصاح مالك :

(العهد لا يستجيب!)

فقال ساهر في قلق واضح :

(لقد فتح الطقس المعاكس الشقّ بدلًا من أن يُغلقه!)

الحامل الأول يرفع رأسه...

وعينه الوحيدة تشع ضوء أحمر وملامح الغضب على وجهه.

أيوب يبكي من الألم ثم قال :

(أنا... أنا... ماعملتش حاجة صدقونى ... هو حصل إيه؟!)

نجم يجثو على ركبتيه بجواره ويقول بحزن :

(لم تفعل شيئا هذه المرة يا صديقي ... لقد فتح جزءًا من الشق...

وهذا يعني...أنك لست مجرد حامل لعهد بالخطأ...بل أصبحت جزءًا من العهد !)

أيوب يهمس وهو بالكاد يتنفس:

(يعني... مافيش فايدة خلاص ؟)

ظافر بغضب واضح :

(ليس بعد ما حدث الآن...فاليد التي لمستك...هي يد العهد نفسه.)

وأضاف مالك بضيق وحدة:

(وقد ختمك للتو بختمه...ولم تعد حرًا !)

وفى تلك اللحظة ...

تخلص الحامل الأول من القيد الذى قيده بالأرض وجمده في مكانه ...

وتقدم نحو أيوب والأرض تهتز تحت خطاه !

حتى وصل اليه ووقف فوقه تمامًا ...

ثم مال بجسده الطويل حتى أصبحت عينه فوق وجه أيوب مباشرة...

فبدأ الهواء يصبح أكثر برودة...

والضباب ينكمش...

ثم نطق الحامل الأول آخيرا بصوت به غضب ومقت شديدين قائلا :

(أيها الحقير...ليست لك...أن تُصلِح الخطأ... عليك فقط الخضوع لارادتى)

أيوب بعين دامعة وألم لا يحتمل يهز رأسه رافضا لهذا القدر الذى وجد فيه نفسه دون أي ذنب بعد أن فقد القدرة حتى عن الكلام في تلك اللحظة ...

أما مالك وباقى بنو الهامس فوقفوا وكأنهم مجمدين يحيل بينهم وبين أيوب جدار غامض غير مرئي !

ظل ظافر يصارع لاختراقه بغضب ... لكن بلا فائدة !

نظر اليهم الحامل الأول وابتسامة نصر ترتسم على وجهه...

ثم عاد لينظر لأيوب بغضب ورفع أصابعه الطويلة فوق وجهه...

ثم قال :

(لقد حان الوقت ...لاستعادة...ما هو... ملكي.)

الحلقة الرابعة عشر – اندماج العهد

وما أن أنتهى المسخ من آخر كلماته ...

حتى أطلق من يديه شعاع أسود نحو صدر أيوب !

شعاع أنطلق نحو صدره ما ان أصطدم به حتى أرتفع أيوب عن الأرض لنصف متر تقريبا ثم سقط مرة آخرى أرضا من شدة أرتطام هذا الشعاع بصدره !

وصرخة مهيبة صدرت من أيوب من شدة الألم الذى كان يشعر به حينها وكأن ألف صاعقة كهربائية قد أرتطمت بصدره للتو !

ثم بدأ يتلاشى من أمامه وعلى وجهه ابتسامة مخيفة وكأنه يذوب في الهواء هو والظل الذى يشبه أيوب !

وفى تلك اللحظة ...

كان أيوب ملقى على الأرض،صدره يعلو ويهبط بسرعة غير طبيعية !

وعينه نصف مفتوحة ، يشعر كأن شيئًا يتحرك داخل ضلوعه !

وأختفى الجدار الغير مرئي الذى كان يمنع بنى الهامس الأربعة من الوصول لأيوب ...

فأندفع مالك ووقف فوق أيوب ، ويده ممدودة وبصوت قلق لكنه ثابت قال :

(أيوب... هل تسمعني؟... هل أنت بخير ؟!»

أيوب يفتح عينه بصعوبة وهو يقول بألم :

– "سامع... بس... حاسس بوجع رهيب ... مش قادر أتنفس ....

وحاسس أن في حاجة جوا صدري... بتمشي!)

ساهر اقترب منه وقال :

(إنه العهد... لقد تنشط ! ... يتحرك باحثا عن أثر حامله الأول ...

لقد بدأ يبحث عنه بعدما أطلق الحامل الأول صدى ظله الى صدرك !.»

أما ظافر فقد وضع يده على الأرض، يتحسس ارتجافها كأنه يقرأ شيئًا مخفيًا ثم قال :

(الحامل الأول ما يزال قريبًا.)

نجم وعيناه المتّقدتان ينظر لأيوب ثم قال :

(وكل ثانية تمرّ... يزداد الخطر !! .. فاما أن يتمكن الحامل الأول من العهد ...

وحينها دمار عالمينا سيكون النهاية التي لا مفر منها ....

أو سيتمكن منك العهد المظلم ويزيد ارتباطك به.)

أيوب يضرب على صدره بيده بقوة ،معتقدا أن ما يفعله سيكون له جدوى ...

لكن ...

للأسف فالضرب لم يخرج شيئًا...

بل زاد الألم !

وكأن العهد يغرس جذوره أعمق بداخله !

لم تمر لحظات معدودة ...

حتى ارتفعت حرارة جسد أيوب فجأة !

وبخار يتصاعد من جلده !

بخار حقيقي !

وكأن الدم يغلي تحت الجلد مباشرة !

فصاح أيوب متألما يقول :

(اااه... نار قايده جوايا ... مالك!! ... ساعدني!!)

وبدأ يتلوى على الأرض وكأن نار حقيقية قد أشتعلت في جسده بالفعل !

فأنحنى عليه مالك بسرعة ، وأمسك رأسه بكلتا يديه وقال :

(اثبت يا فتى ... أنا أعلم جيدا ما تعانيه الأن ...

لكن وعلى الرغم من أن ما يحدث الآن لا يمكن إيقافه...

الا انه يمكن توجيهه لصالحنا .»

ساهر أقترب منهما أكثر ثم قال :

(أستمع لما يقوله لك يا أيوب ... إن لم نوجّه هذا الاندماج الأن ...

سنترك الفرصة لحاملة الأول بالسيطرة عليه وأخذه.)

أيوب يصرخ وهو يتلوى وكأنه لم يستمع لكلمة مما قالها مالك أو ساهر وقال :

(يا رب... همووووووت ... مش قادر !)

وفجأة...

ظهر أثر جديد على جلده !

خط أسود...رفيع يمتد من منتصف ذراعه إلى كتفه !

نجم ينطق فورًا وهو يشير بيده نحو ذلك الخط :

(انه...انه المسار !! ... مسار العهد !)

فأضاف ساهر وهو يضرب قبضته بكف يده الآخري في غضب قائلا :

(لماذا تتسارع الأحداث بهذه الوتيرة ؟! ... وكأن العهد المظلم يختار أيوب بنفسه ! ...

إن اكتمل هذا المسار ...فلن يستطيع أى أحد على انتزاعه منه...

لا نحن...ولا الحامل الأول نفسه !)

أيوب يقول في ألم :

(يعني أيييه ؟!... أنا مابقيتش فاهم اللى بيحصل !)

وفى تلك اللحظة ...

بدأت العلامة على ذراعه تتوهّج بقوة.

فقال ظافر بقلق :

(يا فتى ! يجب أن نكمل الاندماج الآن!)

فأمسك مالك برأس أيوب من جديد ثم قال :

(أيوب... اسمعني جيدًا...إن لم تثبت الآن...فلن تستطيع النجاة من المرحلة الأخيرة.)

أيوب وهو يتألم بشدة قال :

(أنا... أنا مش قادر... النار... بتاكلني !)

حينها أندفع نجم ووضع يده على الأرض...

فخرجت ظلال زرقاء أتسعت وأحاطت بأيوب ثم قال :

(سأحاول تثبيت المسار...لكن الألم لن يزول... تحمل قليلا ياصديقي)

وفى تلك اللحظة ...

بدأوا يسمعون دبّ صوت ثقيل على الأرض.

ثم بدأ الصوت يقترب...

ويقترب...

فأرتجف أيوب وهو يقول :

(أيه دا ؟!...هو رجع؟!... رجع؟!)

فصاح به مالك وقال :

(لا عليك بشئ الأن!... فقط ركّز معي!)

لكن الصوت على الأرض لازال يقترب...

شئ يتحرك نحوهم ، وشارف بالفعل على الوصول اليهم !

فجأة توقفت صوت تلك الخطوات وصوت حشرجة منخفضة تتردد في الأجواء :

(أَيـــــو...بْ...)

أيوب شارف على الانهيار قبل أن يقول في رعب :

(أبعدوه... أمنعوه... مش عايزه يجي!)

ساهر بقلق وتوتر يقول:

(العهد يختارك ويغير مساره ...لكن الحامل الأول يظن أنك تسرقه من جديد.)

فوقف ظافر متحفزا وأشتعلت عيناه بضوء أحمر مخيف ...

وهو يجهّز طاقة ظل حول يديه ويقول :

(إن عاد الآن...سينهي المسار قبل اكتماله.)

فقال مالك وهو يضع يده على جبين أيوب :

(سامحنى يا فتى ... لا توجد طريقة آخرى غير ذلك لإنقاذ عالمينا !)

أما ساهر فقال وهو يتنفس بحدة:

(سنمنعه... سنمنعه ولو لثوانٍ.)

وعلى الفور ...

بدأ الأربعة في ترديد ترنيمة بلغة غير مفهومة جميعا في آن واحد !

زاد صوتهم تدريجيا في كل لحظة كانت تمر ..

وزمجرة رهيبة صدحت في الأجواء :

(لاااااااا ... لن أسمح لكم بالاستيلاء على ارثى !)

ثم...

أنقطع الصوت !

أنقطع وكأن مصدره قد أجبر على الصمت فجأة !

وفى نفس الوقت ...

انكمش المسار الأسود على ذراع أيوب !

ثم قفز ضوء داكن إلى صدر أيوب ...

والعلامة القديمة تختفي...

تنكمش...

وتكونت علامة آخرى ...

فوق قلبه مباشرة !

فوضع مالك كفه فوق صدر أيوب وقال :

(لقد تم الاندماج النهائي...والعهد...اختار قلبك.)

نجم يحدق بدهشة:

(لم يحدث ذلك قط مع أي حامل من قبل !)

ساهر يهمس قائلا :

(هذا تغيير خطير...سيغير كل شيء.)

فجأة ...

يضئ صدر أيوب للحظة بضوء أسود...

كنبضة كبيرة تنبض دفعة واحدة قوية ثم تنطفئ !

أيوب يفقد وعيه تماما...

لا يتحرك...

فوضع مالك أذنه على صدره...

لا يسمع شيئا...سكون تام !

ثم نبضة...

نبضة لا تشبه أي نبضة بشرية !

لم تكن منتظمة !

ولم تكن نبضة واحدة !

لقد سمع مالك نبضتين في نفس الوقت !

نبضتان لقلبين...

بإيقاعان مختلفان داخل جسد واحد !

مالك يرفع رأسه ببطء ويقول بصوت ثقيل:

(لقد أصبح...حامل العهد بالفعل!)

الحلقة الخامسة عشر – إغلاق العهد

ومع آخر كلمات مالك تصدر السكون المشهد تماما ...

سكون لم يكن طبيعِيًّا !

بل يشبه ذلك السكون الذي يسبق زلزالًا يضرب الأرض بقوة لا تُصدّ.

حمل ظافر أيوب وأنتقلوا في لمح البصر الى بيت أيوب ...

وبالتحديد في غرفة الجد القديمة...

وضع ظافر جسد أيوب برفق على الأرض ووقفوا حوله في سكون ...

ينظرون الى بعضهم البعض في توتر وانتظار !

انتظار لما هو آت !

فهم يعلمون جيدا انه لن تتوقف الأمور عند هذا الحد فقط !

وبالفعل لم تمر دقائق حتى أمتلأت غرفة الجد فجأة بضوء أسود !

كان ضوء لا يشبه النور... ولا يشبه حتى الظلام !

بل كان شيء بينهما !

شيء لا لا نعرفه ولا نراه نحن بنو البشر !

وكيف نراه وهو لا يوجد إلا في عهود جن بنو الهامس !

حينها أيوب كان راقدا في منتصف الغرفة ، صدره يعلو ويهبط وكأن الهواء يهرب من حوله.

العلامة على صدره التي أتخذت مكانها فوق قلبه مباشرة تضئ من جديد !

فتقدم مالك نحوه، وبصوت حانى حافظ على ثباته في نفس الوقت قال :

(أيوب... أفق يا صديقي ... لقد حان الوقت للطقس النهائي ...

إن لم نختم العهد الآن...سينفتح الشقّ بين عالمينا على اتساعه من جديد.)

فتح أيوب عيونه بصعوبة ونظر إليه وقال :

(يعنى أيه نهائي ؟! ... يعني ... خلاص؟... دي نهايتي؟)

ساهر اقترب منه خطوة ثم قال :

(لا... ليست نهايتك ، لكنّ الطريق الذي اخترته...لن يسمح لك بالعودة كما كنت.)

وفى أثناء ذلك ...

وضع ظافر يده على الجدار الذى كان يهتز ثم قال :

(الحامل الأول يتحرّك...إنه يحاول كسر الحاجز من الداخل وفتح الشق من جديد)

نجم أقترب أيضا من أيوب وقال :

(أيوب... أرجوك تشجع فلا مجال للخطأ هذه المرة !... لأنه .....)

صمت نجم للحظات ثم أردف قائلا بحزن :

(لأنه سيحاول قتلك قبل أن ننهي الطقس.)

أيوب ابتسم ابتسامة شخص محبط لا يملك حرفيا ما يخشي عليه وقال :

(ما بقيتش فارقه معايا انى أموت ... أنا اللى فارق معايا دلوقتى أن ما ينفعش أخليه ينتصر ما ينفعش يهزمنى لأن فيه أرواح كتيرة هتتأذى بسببى في عالمى وعالمكم ...

بس هنخلصّ الطقس إزاي؟)

فرد مالك قائلا :

(لا يُغلق العهد...إلا بصاحبه... وأنت الأن صاحبه يا أيوب)

فأردف ساهر قائلا :

(وقد أصبحت صاحبه لأن العهد اختارك الآن...والاختيار الأخير هو الأهم.)

وأضاف نجم :

(أنت وحدك القادر على إيقافه ...لأن الشقّ الآن داخل قلبك.)

أيوب بهدوء لم يعتاده أحد :

(فهمت ... يعني... لازم أنا اللي أقفله)

فرد مالك قائلا :

(نعم.)

عم السكون المكان للحظات ...

ثم تنهيدة طويلة خرجت من صدر أيوب.

ومن بعدها قال :

(علّموني ... أعمل أيه ؟!)

وما ان أنتهى أيوب من آخر كلماته حتى سمعوا جميعا صوتٌ يشقّ الجدار !

حيث أهتزّ الجدار فجأة...

وشقّ أسود انفتح نصف فتحة...

ثم ظهر من داخله ظلّ ...

ثم يد...

ثم وجه بلا ملامح...

وعين واحدة فقط تشتعل بلون غريب !

انهالحامل الأول من جديد !

خرج نصفه من الشق والباقي في الداخل.

تراجع أيوب خطوتين للخلف في حذر .

وتكلم الحامل الأول بصوت حادّ قائلا :

(أَنتَ... أخَذتَهُ... ستُعيدُه...أو... سأَدفِنُكَ مَعه...)

فصاح فيه أيوب لأول مرة بغضب قائلا :

(قولتلك مليون مرة أنا ماخدتش حاجة يا غبى !)

مالك يضع يده أمامه محذرا :

(اهدأ !... فالغضب يزيد من قوّته .)

أستشاط الحامل الأول غضبا ... وبدأ في اخراج نفسه من الشق في الجدار ...

فصاح نجم :

(إن خرج كاملًا... ستُمحى القرية على الفور !)

فأندفع ساهر قائلا :

(أيوب... الآن! ...قِف في المنتصف...وسنبدأ الطقس... فورا)

تحرك أيوب ووقف في المنتصف ، ووقف الأربعة حوله ...

وهو يصارع من أجل الوقوف على قدميه من شدة الألم ...

بدأ مالك يردد كلمات غير مفهومه ...

وتبعه ساهر وهو يردد مغمضا عينيه ويقول :

(أغلق...انكمش...عد إلى أصلك...يا عهد الظلّ...)

أما نجم فرفع يده،فظهر خيط من الضوء الأزرق بين أصابعه.

وظافر فتح كفيه،وظلال كثيفة خرجت منه لتشكل دائرة حول أيوب.

ثم...

تحرك الضباب كله نحو نقطة واحدة ...

تحت قدمي أيوب بالضبط...

فصدحت صرخة عظيمة من الحامل الأول :

(توقّـــــــفوا!!! ...هـــــــذا... لِي!)

صرخة هزّت أركان الغرفة كلها !

بدأ أيوب يشعر بالقلق والتوتر من قوة صرخات الحامل الأول ...

فلاحظ مالك ذلك فقال بصوت جهوري:

(اثبت! ... لا يتحمل العهد إلا قلب ثابت!)

وبعدها مباشرة صاح ساهر قائلا :

(أيوب! ... بسرعة ...قل اسمه...اسم الحامل الأول...لقد حان الوقت .)

أيوب يصدم مما قاله ساهر ورد قائلا :

(أسمه ؟! ... أنا ماعرفش أسمه!)

فرد عليه ظافر قائلا :

(لا تقلق ... العهد يعرفه...وسيضعه في لسانك...أنطق فقط ما تشعر أنه اسمه.)

فجأة ...

نبضة سوداء تضرب صدر أيوب ...

فيصرخ على اثرها صرخة حادة...

ثم...

خرجت كلمة من فمه !

لم يفكر فيها...

لم يعرفها...

لم يسمعها من قبل...

وقال :

(هـــــــازِر!)

وفى تلك اللحظة ...

الحامل الأول يتجمد...

وصوت صدى رهيب يخرج من الشق:

(لاااااااا ...)

فرفع مالك صوته قائلا :

(الآن يا أيوب! ...أصدر الأمر بالعزل!)

في ذلك الوقت كان أيوب ينطق بكلمات لا يعرف عنها شيء وقوة طاغية تملكته جعلت الحماس يدب في صدره فصاح بكل مافيه قائلا :

(ياااهزِر! ...عد!! ... عد من حيث أتيت!!)

فجأة ...

عاصفة سوداء انفجرت من صدرأيوب ...

وأنطلقت لتصطدم بالحامل الأول ودفعته لداخل الشق ...

الشقّ يهتز !

ويُغلق جزءًا بعد جزء...

والحامل الأول يصرخ بعنف:

(لاااااا!!!! ... لا يجب أن يحدث ذلك ! ... العَهد...لـــــــي!!!)

لكن ظلال سوداء ضخمة تسحبه وتعيده داخل أعماق الشق !

فأنطلق ظافر وضغط براحته على الجدار وقال :

(أغلق...)

وكررها ساهر:

(أغلق!!!)

ورددها مالك بكل قوته:

(أغلق!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!)

ثم نجم يختمها :

(أغلق إلى الأبد...)

الشقّ يُغلق

ينهار

يختفي

يختفي

يختفي...

وعادت الجدران ساكنة !

ثم...

يسقط أيوب على الأرض بلا حركة !

وبنو الهامس الأربعة يقتربون منه سريعًا.

مالك يتحسس نبضه...

نبضة...

نبضة بشرية...

لا ظلّ فيها...

لا عهد...

لا ظلام...

فأبتسم وهو ينظر الى باقى الأصدقاء بفرحة ...

ساهر يتنفس الصعداء قائلا :

(لقد انقطع الرابط الرابط آخيرا ... نجحنا يا أصدقاء)

أما ظافر فقد نفض كفيه وقال :

(لقد فعلناها ... والعهد عاد إلى مصدره...)

وأضاف نجم قائلا :

(والأهم ... ان أيوب... قد نجا.)

وفى تلك اللحظة ...

أيوب يفتح عينيه ببطء.

نظرة هادئة...

نظرة ليست نظرة الشخص نفسه الذي بدأ الرحلة !

(خلصنا ؟)

مالك يبتسم للمرة الأولى بفرحة :

(نعم... يا نسل الوسيط...لقد خُتم العهد بنجاح.)

أيوب يغمض عينيه وتسيل منه دمعة على وجنتيه ...

ليست دموع خوفًا ولا ألم هذه المرة ...

بل شعور غريب...

شعور أنّ شيئًا عظيماً كان يسكنه وغادر.

حينها وفى تلك اللحظة ...

بدأ الأربعة يختفون تدريجيًا، والضباب يتراجع خارج المنزل

والقرية تستيقظ على أول يوم بلا ظلّ ثقيل ...

ولا ضباب خانق ...

وأيوب يستلق وحيدًا على أرض الغرفة القديمة ينظر إلى مكان الشق

ثم يبتسم ابتسامة صغيرة ويقول :

(آخيرا ... خلصت من الكابوس دا ...)

الخاتمة

مر النهار سريعا ...

وخيم الليل على القرية ...

كان الليل يتراجع ببطء...

وآخر ذرة من الضباب المظلم اختفت كما لو لم تكن يومًا في هذا العالم.

كان أيوب لازال جالسا وحده على أرض غرفة الجد...

جسده مرهق، لكن قلبه... مرتاح لأول مرة...

وفجأة ...

ضوء هادئ ملأ الغرفة !

لم يكن بالطبع ضوء ذلك الصباح القديم ...

كان ضوءًا آخر...

ناعمًا...

سماويًا...

مع لمسه برودة تضفى الاطمئنان ولا تخيف...

ظهر الأربعة...

مالك...

ساهر...

ظافر...

نجم...

ظهروا لكنهم لم يظهروا كما اعتاد أيوب رؤيتهم !

بل ظهروا في هيئتهم الحقيقية !

أشكال نورانية...

حدودهم شفافة...

عيونهم تلمع كأنها مرايا تعكس الحقيقة...

أيوب يقف مذهولًا ويقول :

(مالك؟!... إنتو اتغيرتوا ليه كده؟)

مالك يبتسم ابتسامة هادئة ثم قال :

(نحن لم نتغير يا أيوب...بل أنت أخيرًا أصبحت قادرًا على رؤية حقيقتنا.)

ساهر يتقدم خطوة:

(ما رأيته منّا كان ظلّ الحراسة فقط...

أما الآن، فقد اكتمل دور الظلّ،وحان وقت النور.)

ظافر يرفع يده في الهواء،فتظهر خطوط رفيعة من الضوء تتحرك فوق كفه ثم قال :

(لقد أغلقنا العهد المظلم...لكنّ العهد الأصلي ينتظر صاحبه الحقيقي.)

نجم يقول بنبرة ثابتة:

(وهو أنت... يا نسل الوسيط.)

أيوب يبتسم ويقول :

(عهد تاانى ؟ ... طيب هسألكم سؤال بعدها أعملوا فيا مابدالكم... يعني إيه نسل الوسيط أصلا؟!...ويعني إيه العهد الأصلي؟... والله بجد أنا عايز أفهم...)

مالك ينظر إليه مباشرة ثم يقول :

(العهد... ليس مجرد قوة...

كما أنه بالطبع ليس لعنة...العهد رسالة...وجسر بين عالمينا.)

فأضاف ساهر:

(البشر بالطبيعة يتغيرون...والعوالم تتباعد...

وكان لا بدّ من وسيط...يحفظ الباب مغلقًا أمام الظلام،ومفتوحًا أمام النور.)

فأقترب ظافر وقال بدوره :

(أجدادك حملوا الرسالة...كل جيل يورثها للذي يليه،حتى صارت إليك.)

أيوب بصوت محبط وابتسامة ساخرة قال :

(بس أنا... زى ما شوفتوا بعنيكم خايب معرفش أي حاجة...

ضيّعت الدنيا... وغلطت أكتر من مرة...)

نجم يقاطعه:

(هذا كان كأختبار لجدارتك ... وهذا ما جعلك الأحق أيضا ...

فالوسيط لا يكون وسيطًا إلا إن عرف معنى السقوط... ثم القيام.)

فجأة ...

مالك يرفع يده ببطء ويوجهها نحو صدر أيوب ...

فتظهر علامة جديدة فوق صدر أيوب...

ضياء خفيف...

خط رفيع يشبه هلالًا صغيرًا...

ثم قال مالك :

(هذا هو أثر العهد الأصلي...لا ألم فيه...ولا ظلال.)

ساهر يضيف :

(وظيفتك يا صديقي ليست القتال...ولا حمل الظلام...ولا فتح الشقوق.»

فأكمل ظافر:

(وظيفتك... الحراسة.)

وأردف نجم:

(حراسة الباب الذي لا يراه البشر...ولا يعرفون أنه موجود.)

أيوب بصوت خافت وحائر :

(طيب... القرية؟... أمي؟... كل اللي حصل؟)

فأبتسم مالك ثم رفع يده...

فتحول الهواء إلى موجة شفافة تمرّ عبر الجدران...

ثم قال :

(سينسون كل شيء.)

فأضاف ساهر:

(ليس لأنهم ضعفاء... لقد خلقكم الله أقوياء وجعلكم خلفاء على الأرض...

لكن لأن العهد لا يسمح لذكريات الظلام بالبقاء داخل العقول البشرية.)

فأبتسم ظافر آخيرا قبل أن يقول :

(سيستيقظون غدًا كما لو لم يروا ضبابًا...ولا سمعوا طرقًا...

ولا عرفوا اسمًا من بني الهامس.)

وقال نجم:

(فقط أنت...وأنت وحدك...من يحمل الذاكرة.)

أيوب يبتلع ريقه قبل أن يقول :

(أنا؟)

فرد مالك قائلا :

(نعم ... انت ... لأن الذاكرة... هي أول خطوات الحراسة)

فجأة ...

حدث شيء لم يحدث منذ أن بدأ الأمر أبدا !!

شيء لم يتوقعه أيوب بالمرة !

لقد أنحنى الأربعة أمام أيوب !

انحناءة احترام وتقدير...

وهم يقولون بصوت واحد :

(يا نسل الوسيط...لقد اكتمل العهد.)

ثم يبدأ نورهم في التلاشي...

وقبل أن يختفوا تماما ...

ساهر يقول:

(إن احتجتنا...لن نكون بعيدين.)

وقال ظافر:

(البوابة ستبقى في جسدك...لكنك وحدك تقرر من يقترب منها.)

نجم يبتسم ابتسامة صغيرة ويقول :

(ولن يكون هناك عهد مظلم بعد الآن...لأنك أغلقت آخر شق له في هذا العالم.)

ومالك يختم قائلا :

(أنت الآن...الحارس.)

وتلاشى الأربعة كما يختفي غبار الضوء بعد ولادة نجم في الفضاء السرمدى ...

أيوب ظل واقفًا...

وحده...

وسط الغرفة الهادئة...

لم يعد هناك ظلّ ...

ولا صوت ...

ولا همس...

فتح النافذة...

فرأى القرية كما لم يرها منذ شهور...

هادئة...

بلا ضباب...

بلا خوف...

بلا صراخ...

خرج من الغرفة القديمة نحو غرفة أمه ...

فرأى أمّه تنام في غرفتها بسلام...

لا ولن تعرف شيئًا مما حدث !

ولا يجب أن تعرف !

ابتسم ابتسامة هادئة.

ثم قال لنفسه: (أنا... آخر جسر... وأخر بوابة ... أنا نسل الوسيط)

.....النهـــــــــايـــــــــة.....

أحمد عصام أبوقايد – كاتب وروائي مصرى يأخذك في عوالم لا ترى بالعين، حيث يلتقي الغموض بالفانتازيا السوداء، والرعب بالرمزية التي تشد الأنفاس.

يأخذ قراءه في رحلات مشحونة بالغموض والرعب والتشويق الذي لا يهدأ حتى آخر صفحة.

<u>أعماله المطبوعة السابقة</u> :

العالم الموازي – رسائل من العالم الآخر – الكتاب الأسود – غضب القرين – ثلاثية المستبصر(العين الثالثة / النبوءة والمختار / المعركة قبل الأخيرة) – فرعونيزم

<u>كتب إلكترونية :</u>

حراس العهد – طفل الجان – الشخصية المحذوفة – الشخصية المحذوفة ٢ : تائه بين عالمين أيوب وعهد بنى الهامس١ – أيوب وعهد بنى الهامس ٢

تابع الكاتب وتواصل معه :

أحمد عصام أبوقايد : Facebook

Youtube :@ahmed.essam.abokayed

tiktok : @ahmed.essam.abokayed

instagram :@ ahmed.essam.abokayed